التفسير البلاغي لقوله -تعالى-:

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [النساء: ١٠٠]

إلى نهاية الربع.

تأليف

أ.د/ زكي صبري محمد عبد الله

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ

جامعة الأزهر

التفسير البلاغي لقوله –تعالى–:{وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً } [النساء: ١٠٠]إلى نهاية الربع.

زكي صبري محمد عبد الله

قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني :zakiabdullah@gmail.com

الملخص :

فإن الحديث عن بلاغة القرآن حديث عن الأصل الذي تبنى عليه القواعد وترتفع عليه الأعمدة لفهم هذا الكتاب الخالد، وهذا ما دعا الزمخشرى – وهو من هو بلاغة وبيانا– أن يؤكد على أهمية هذا العلم ويجزم بأن طرائق التفسير وحقائقه لا تتم لإنسان إلا بعد وقوفه على علم البلاغة فقال: (لا يتصدى من العلماء أحد لسلوك طرائق التفسير، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا من قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون آخذًا من سائر العلوم بحظ)

الكلمات المفتاحية : التفسير البلاغي – التراكيب – البياني – المحسنات – البديعية

The rhetorical interpretation of the Almighty saying: {waman yuhajir fi sabil alllah yajid fi al'ard muraghamana kathirana wasaeatan } [alnsa': 100] to the end of the quarter.

Zaki Sabry Mohammed Abdullah
Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Kafr El-Sheikh, Al-Azhar University
Email : zakiabdullah@gmail.com

Abstract :
Talking about the rhetoric of the Qur'an is a conversation about the origin on which the rules are built and the columns rise on it to understand this eternal book, and this is what called Zamakhshari - who is a rhetoric and a statement - to emphasize the importance of this science and assert that the methods of interpretation and its facts are not completed for a person until after he has stood knowledge Rhetoric, and he said: (Nobody among the scholars confronts the behavior of the methods of interpretation, and does not dive into any of these facts except for those who have excelled in two sciences specialized in the Qur'an, namely the science of meanings and the science of clarification, and he has been slow in frequenting them at the time, and he is tired in parsing them in times, and his mission is to follow their points. He was eager to know Taif, the argument of God, and he was keen to clarify the miracle of the Messenger of God, after he had taken luck from all other sciences

Key words: Rhetorical Interpretation - Structures - Graphic - Enhancers - Badia

المقدمة

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)} [الكهف: ١ – ٣]

والصلاة والسلام على أفصح الناس لسانا، وأعذبهم بيانا، وأقواهم حجة وبرهانا، آتاه الله القرآن فكان معجزة باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، يراها ذوو البصائر، وستظل هذه المعجزة باقية محفوظة بحفظ العليم الخبير.

وإذا كان الناس قد مر عليهم منذ عهد نزول القرآن إلى الآن أدوار مختلفة، فإن هذا الكتاب لم ينل منه تغير الزمن ولا حقد الحاقد بل هو في كل الأطوار (واقف في عليائه، يطل على الجميع من سمائه، وهو يشع نورًا وهداية، ويفيض عذوبة وجلالة، ويسيل رقة وجزالة، ويرف جدة وطلاوة، ولا يزال كما كان غضًا طريا يحمل راية الإعجاز، ويتحدى أمم العالم في يقين وثقة قائلا في صراحة الحق وقوته وسلطان الإعجاز وصولته {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)} [الإسراء: ٨٨] (١)

وبعد

فإن الحديث عن بلاغة القرآن حديث عن الأصل الذي تبنى عليه القواعد وترتفع عليه الأعمدة لفهم هذا الكتاب الخالد، وهذا ما دعا الزمخشرى –وهو من هو بلاغة وبيانا– أن يؤكد على أهمية هذا العلم ويجزم بأن طرائق التفسير وحقائقه لا تتم لإنسان إلا بعد وقوفه على علم

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى:٢/٢٤٠ تحقيق مكتب البحوث والدراسات ط: دار الفكر بيروت ط: الأولى١٩٩٦ م.

البلاغة فقال: (لا يتصدى من العلماء أحد لسلوك طرائق التفسير، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا من قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ) (١)

وإذا كانت البلاغة في أبسط معانيها أن نضع الكلمة في موضعها، مع الوفاء بالغرض وإقناع المخاطب بها، فإن ذلك لا يكون إلا في القرآن بالدرجة الكاملة التامة التي لا يتأتى لأحد أن يعقب عليها، ومن هنا قال ابن عطية _رحمه الله –تعالى: "ووجه إعجازه أن الله –تعالى– قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن بشرًا لم يكن قط محيطًا.

فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة. وبهذا النظر يبطل قول من قال: إن العرب كان من قدرتها أن تأتي بمثل القرآن فلما جاء محمدﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه.

والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا، ثم تعطى لآخر

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى:٤٣/١ تح أ: عبد الرزاق المهدى ط: دار إحياء التراث العربي بيروت.

نظيره فيأخذها بقريحة جامة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل.

وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد.

ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفي علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام) (١)

ولا أحب أن أطيل في هذا الجانب الذي سُبقت إليه من ناحية، ومن ناحية أخرى أن هذا الأمر أظهر من أن يُبيّن.

والربع الذي هو محل الدراسة من قوله --تعالى-- : {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} [النساء: ١٠٠]إلى قوله --تعالى-- {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } [النساء: ١١٣]من سورة النساء

وسورة النساء من السور المدنية، وعدد آياتها (١٧٦) ست وسبعون ومائة آية، وبدأت السورة بالنداء إلى الناس جميعًا في قوله {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء: ١] وهذا البدء تشترك فيه هذه السورة مع سورة الحج، حيث بدأت بقوله {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١)} [الحج: ١]

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي:١/٤٩٠ تحقيق: أ: عبد السلام عبد الشافي محمد ط:دار الكتب العلمية لبنان ط:الأولى١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

والعلاقة بينهما من وجوه:

الأول: أن السورتين مدنيتان.

الثاني: أنهما بدأتا بالنداء للناس دون المؤمنين أو غيرهم.

الثالث: أن الأولى –وهى النساء– رابعة السور في النصف الأول، حيث تقع بعد الفاتحة والبقرة وآل عمران، والثانية وهى الحج رابعة السور في النصف الثاني، حيث تقع بعد مريم وطه والأنبياء.

الرابع: أن الأولى تحدثت عن بدء الخلق كما هو واضح في قوله: {اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ } [النساء: ١] والثانية تحدثت عن عودة الخلق إلى ربهم كما هو ظاهر في قوله: {اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ} [الحج: ١، ٢]وهذا يكون يوم القيامة، وبين البدء والختام علاقة وطيدة والمطالع لما بين السورتين يدرك أن القرآن رسم طريقًا ممهدًا للإنسان يسير فيه إلى ربه.

وهذا الربع الذي هو محل الدراسة قد غلب على آياته أسلوب الشرط، فأغلب آياته مبنية عليه، ولا شك أن لهذا حكمة، من ثم عقدت في التمهيد من هذا البحث حديثا عن بلاغة أسلوب الشرط.

هذا وجاء منهجي في عرض هذا البحث على النحو التالي:

أولا: قسمت البحث على أبواب البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع.

ثانيا: تحدثت عن الآيات مرتبة في كل باب من أبواب البلاغة، حيث كنت أضع عنوانا قبل الآية بـ (الآية الأولى– الثانية...وهكذا)

ثالثا: أقدم بسبب النزول بين يدي الحديث عن الصور البلاغية، وذلك لما لسبب النزول من أهمية قصوى في بيان المعنى القرآني.

رابعا: أجعل علاقة الآية من الصور البلاغية التي تندرج تحت علم المعاني، وحجتي في ذلك أن علم المعاني كما عرفه البلاغيون: علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال.

ولا شك أن تناسق الكلام يندرج تحت هذا التعريف.

خامسا: قمت بتعريف المصطلحات البلاغية من كتب البلاغيين حتى يتضح المعنى الذي يراد دراسته.

سادسًا: رتبت الصور البلاغية في علم المعانى ترتيبًا حسابيا_نظرا لكثرتها_ مراعيا ترتيب الآيات وفى علمي البيان والبديع رتبت المسائل على أبواب كل علم منهما، وقمت بعمل حصر إجمالي في الخاتمة لكل الصور من العلوم الثلاثة.

هذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة بأهم المراجع.

أما المقدمة فقد أشرت فيها إلى بلاغة القرآن وفصاحته، مع بيان منهج الدراسة، **وخطة البحث**

وفي التمهيد تحدثت عن بلاغة أسلوب الشرط.

والمبحث الأول فبعنوان: بناء التراكيب وبلاغته في آيات ربع {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً } [النساء: ١٠٠] إلى نهاية الربع.

المبحث الثاني فبعنوان: التصوير البياني في قوله –تعالى{وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً } [النساء: ١٠٠] إلى نهاية الربع.

المبحث الثالث فبعنوان: المحسنات البديعية في قوله –تعالى{وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً } [النساء: ١٠٠] إلى نهاية الربع.

وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج، ثم في النهاية ذكرت قائمة بأهم المراجع.

وإني لأسأل ربى _وهو أكرم من سئل وأوسع من أعطى وأرأف من ملك_ أن يهبني وعامة المسلمين التوفيق في أمري الدين والدنيا، وأن يستعملنا في طاعته ويهيئ لنا من أمرنا رشدًا وأن يتجاوز عن تقصيرنا وسهونا، وحسبي سلامة القصد.

وصل اللهم على معلم الناس الخير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرًا والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

بلاغة أسلوب الشرط في القرآن الكريم

درس البلاغيون هذا الأسلوب في علم المعاني ضمن أحوال المسند في أغراض تقييد الفعل بالشرط وهي اعتبارات في الأصل نحوية ولكن تتجلى بلاغتها في دراسة دلالة هذا الأسلوب، كأن يكون الشرط بـ "إذا" مقطوعًا بوقوعه، وبـ "إن" غير مقطوع بوقوعه، ونحو ذلك من دلالات يجليها هذا الأسلوب بين السياق الذي ورد فيه.

أما النحاة فتوسعوا في عمل أدوات هذا الأسلوب فبينوا أن بعضها يجزم الفعل مثل (من- مهما- حيثما – أيان – أين – إن).

وبعضها لايجزم مثل (إذا – لو – لولا – لوما).

كما أن بعضها يدل على الزمان مثل (متى) وبعضها يدل على المكان مثل (أين) وبعضها للحال مثل (كيف) [1]

والذي يتعلق بعلم البلاغة من أدوات الشرط يمكن الإشارة إليه فيما يلي:

أولا: المعلوم عند العلماء أن الجملة الشرطية – في حقيقة أمرها_ جملتان إحداهما فعل الشرط والأخرى جوابه وجزاؤه.

ثانيا: هذا الشرط قد يكون من باب الخبر مثل: إن تطلع الشمس يذب الثلج، وقد يكون من باب الإنشاء مثل: إن جاءك محمد فأكرمه.

والذي يوصف بالخبر والإنشاء هو الشرط والجواب معا، أما فعل الشرط وحده فليس كذلك، لأن جملته لا تفيد فائدة تامة ولا تحتمل صدقًا ولا كذبًا.

---

(١) ينظر بتوسع شرح الرضى على الكافية:٤/٤٥٠-٤٧٧٠ تحقيق: يوسف حسن عمر ط:منشورات جامعة قار يونس ليبيا الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

ثالثا: الأدوات التي أولاها البلاغيون حديثًا من أدوات الشرط هي: (إن–إذا– لو)

و"إذا" تستعمل فيما هو محقق الوقوع، وإن تستعمل فيما هو مشكوك، ولو للمضي، وعليه ف"إن" و"إذا" تشتركان في الاستقبال وتختص "لو" بالماضى.

غير أنه لا يفوتنا أن ننبه على أن اشتراك "إن" و"إذا" في الاستقبال لا يسقط الفرق القائم بينهما، فمعلوم أن "إذا" تستعمل فيما هو محقق الوقوع أو يغلب على الظن وقوعه، أما (إن) فتستعمل فيما هو مشكوك فيه أو ما يترجح عند المتكلم عدم وقوعه.

واقرأ هذه الآيات ثم انظر بلاغة التعبير بأدوات الشرط فيها

قال الله –تعالى{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ} [الممتحنة: ١٠][١]

وقال سبحانه {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)} [الممتحنة: ١٢][٢]

وقال –عز من قائل–:{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا } [الممتحنة: ١١] [٣]

هذه الآيات من سورة الممتحنة صدرت فيها آيتان بـ (إذا) توسطهما شرط بـ"إن" والثالثة ذكرت فيها (إن).

(١) سورة الممتحنة:١٠.

(٢) سورة الممتحنة :١٢.

(٣) سورة الممتحنة:١١.

الآيتان اللتان صدرتا بـــ(إذا) تتحدث إحداهما عن مجيء المؤمنات مهاجرات، والأخرى عن مجيء المؤمنات مبايعات، وهما نتيجة حتميـــة لانتشار هذا الإسلام، واتساع رقعته ودخول الناس في دين الله أفواجًا.

أما التي صدرت بـــ(إن) فتتحدث عن ارتداد بعض المسلمات، وترك أزواجهن المسلمين، وهذا أمر نادر من الحري أن لا يقع.

وقد تستعمل هذه الأدوات في غير ما وضعت له فتفيد معنى آخـــر وهذا يضفي على الكلام روعة وبيانا.

وقد تجتمع في الآية الواحدة أداتان وكل منهما في وضعها، ويلحـــظ القارئ دقة التعبير وبلاغة القول:

ففي قوله –تعالى–: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ} [المنافقون: ٤] (١)

هذه الآية استعملت فيها (إذا)و(إن) لكن (إذا) استعملت فيما يخـــتص بالرؤية و(إن) فيما يتعلق بالقول، وكل من يرى المنافقين تعجبه أجسامهم، لكن ليس كل ما يقولونه حريا بأن يستمع إليه) (٢)

ثم إن في وضع الأداة نفسها واختيارها على غيرها ملحظًا بلاغيـــا يراه القارئ وتتجلى بلاغة القرآن فيه، وهذا كثير جدا.

وقوع بعض الأدوات مكان بعضها:

ذكر علماء البلاغة أن وقوع أدوات الشرط بعضها مكان بعض لا يحدث إلا مع (إن) و (إذا) فقط، و(إذا) لا تقع موقع (إن) إلا قليلا.

وإذا أراد المتحدث أن يصور الكلام المشكوك في حصـــوله، غيـــر المتيقن منه، وكأنه محقق الوقوع فإنه يجيء بـــ (إذا) مع أن المقام يتطلب وجود (إن)(١)

---

(١) سورة المنافقون من:٤.

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) د: فضل حسن عباس ص:٣٣٧-٤٤٠ ط: دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان الطبعة الأولى١٤١٧-١٩٩٧م.

أما وقوع (إن) موقع (إذا) فذلك كثير في كلام البلغاء وهـذه أهـم أغراضهم في ذلك:

أولا: أن تأتي على طريقة وضع الشرط المتصل الذي يوضع شرطه تقديرًا لتبيين

مشروطه تحقيقًا كقوله –تعالى–:{قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} (٢) وقوله –تعالى–: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} (٣) وقوله –تعالى{قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } (٤)

ثانيا: أن تأتي على طريق تبيين الحال على وجه يأنس به المخاطب وإظهارًا للتناصف في الكلام كقوله –تعالى–: {قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } (٥)

ثالثا: تصوير أن المقام لا يصلح إلا بمجرد فرض الشرط كفـرض الشيء المستحيل

كقوله –تعالى–: {وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُـمْ} (٦) والضـمير للأصنام.

رابعا: قصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب مدلول الشرط وأنه واجب الانتفاء حقيق ألا يكون كقوله –تعالى–: {أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ } (٧) فيمن يكسر "إن" فاستعملت "إن" في مقام الجـزم

(١) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) د: فضل حسن عباس ص:٣٤٣.
(٢) سورة الزخرف:٨١.
(٣) سورة الأنبياء:٢٢.
(٤) سورة الإسراء: ٤٢.
(٥) سورة سبأ:٥٠ .
(٦) سورة فاطر:١٤.
(٧) سورة الزخرف: ٥.

بكونهم مسرفين لتصور أن الإسراف ينبغي أن يكون منتفيا فأجراه لذلك مجرى المحتمل المشكوك.

خامسا: تنبيه المخاطب وتهييجه كقوله -تعالى{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [(١)] والمعنى عبادتكم لله تستلزم شكركم له فإن كنتم ملتزمين عبادته فكلوا من رزقه واشكروه وهذا كثيرًا ما يورد في الحجاج والإلزام تقول: إن كان لقاء الله حقًا فاستعد له.

سادسا: التغليب كقول الله {إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ} (٢) وقوله تعالى-:{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ } (٣) فاستعمل "إن" مع تحقق الارتياب منهم لأن الكل لم يكونوا مرتابين، فغلب غير المرتابين منهم على المرتابين لأن صدور الارتياب من غير مرتاب مشكوك في كونه فلذلك استعمل "إن" على حد قوله{قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا} (٤)

واعلم أن (إن) لأجل أنها لا تستعمل إلا في المعاني المحتملة كان جوابها معلقًا على ما يحتمل أن يكون وألا يكون فيختار فيه أن يكون بلفظ المضارع المحتمل للوقوع وعدمه ليطابق اللفظ والمعنى، فإن عدل عن المضارع إلى الماضي لم يعدل إلا لنكتة كقوله -تعالى-{إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ} (٥) فأتى الجواب مضارعًا وهو "يكونوا" وما عطف عليه وهو "يبسطوا" مضارعٌ أيضًا، وأنه قد عطف عليه "ودوا" بلفظ الماضي وكان قياسه

(١) سورة البقرة: ١٧٢.
(٢) سورة الحج:٥ .
(٣) سورة البقرة:٢٣.
(٤) سورة الأعراف:٨٩.
(٥) سورة الممتحنة:٢.

المضارع، لأن المعطوف على الجواب جواب، ولكنه لما لم يحتمل ودادتهم لكفرهم من الشك فيها ما يحتمله أنهم إذا ثقفوهم صاروا لهم أعداء وبسطوا أيديهم إليهم بالقتل وألسنتهم بالشتم أتى فيه بلفظ الماضي لأن ودادتهم في ذلك مقطوع بها وكونهم أعداء وباسطي الأيدي والألسن بالسوء مشكوك لاحتمال أن يعرض ما يصدهم عنه فلم يتحقق وقوعه

وأما (إذا) فلما كانت في المعاني المحققة غلب لفظ الماضي معها لكونه أدل على الوقوع باعتبار لفظه في المضارع قال –تعالى–:{فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} (١) بلفظ الماضي مع (إذا) في جواب الحسنة، حيث أريد مطلق الحسنة لا نوع منها ولهذا عرفت تعريف العهد ولم تنكر كما نكر المراد

به نوع منها في قوله –تعالى{وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} (٢)

(١) سورة الأعراف:١٣١ .

(٢) سورة النساء:٨٧. وينظر: البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشى٥٣٤-٥٣٥ تح: أبى الفضل الدمياطى ط:دار الحديث القاهرة١٤٢٧.

المبحث الأول

بناء التراكيب وبلاغته في آيات ربع{وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً}

إذا ذكر البلاغيون بناء التراكيب أو دلالات التراكيب أو خصائص التراكيب فإنما يقصدون بذلك دراسة مسائل علم المعاني وخدمتها للتوكيد أو السياق الذى جاءت فيه ولذلك عرف العلماء علم المعاني بأنه: علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال.

وقيل: هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، ما يتصل بها من الاستحسان وغيره.

والمراد بأحوال اللفظ: ما يشمل أحوال الجملة وأجزائها، فأحوال الجملة: كالفصل والوصل، والإيجاز، والإطناب، والمساواة.

وأحوال أجزائها: أحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل.

وأبواب علم المعاني منحصرة في ثمانية:

أولها: أحوال الإسناد الخبري.

ثانيها: أحوال المسند إليه.

ثالثها: أحوال المسند.

رابعها: أحوال متعلقات الفعل.

خامسها: القصر.

سادسها: الإنشاء.

سابعها: الفصل والوصل.

ثامنها: الإيجاز والإطناب والمساواة[1]

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة د: عبد المتعال الصعيدى١/٢٧-٢٨ بتصرف ط: مكتبة الآداب القاهرة١٤٢٠هـ-١٩٩٩ م

وكل واحد من هذه المباحث يخدم السياق الذى ورد فيه، وتناولت دراسة ذلك باعتبار الآيات، فالآية الواحدة قد يكون فيها مجموعة من هذه الأساليب، ولا يصلح تجزئتها وهدم بنيانها ولو درست ما فيها من أسلوب خبري هنا، وإنشائي هناك لحدث تكرار من جهة ولما اكتمل ترابط بلاغتها في الدراسة من جهة أخرى وهذا هو الأهم الذى من أجله درستها باعتبار الآيات لأنه ما من كلمة أو جملة أو حرف يربط بين الكلمات أو الجمل إلا له دلالة في هذا البناء، وسأقف مع ذلك على قدر ما يفتح الله به.

الآية الأولى: قوله تعالى{وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (١)

سبب نزول الآية:

ذكر العلامة الواحدى –رحمه الله– في سبب نزول هذه الآية رواية عن ابن عباس –رضي الله عنهما– في رواية عطاء: كان عبد الرحمن ابن عوف يخبر أهل مكة بما ينزل فيهم من القرآن، فكتب الآية التي نزلت {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ} [النساء: ٩٧] فلما قرأها المسلمون قال حبيب بن ضمرة الليثي لبنيه –وكان شيخاً كبيرا–: احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لا أهتدي إلى الطريق.

فحمله بنوه على سرير متوجها إلى المدينة، فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت، فصفق يمينه على شماله وقال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعتك يدُ رسول الله ﷺ ومات حميدا، فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: لو وافي المدينة لكان أتم أجرا، فأنزل الله –تعالى– فيه هذه الآية(٢).

---

(١) سورة النساء:١٠٠.

(٢) أسباب النزول للواحدى ص (١١٩) ط:الحلبى مصر١٣٨٨ هـ١٩٦٨م

الصور البلاغية في الآية:

١- مناسبة الآية لما قبلها: (١)

لما رهب الحق سبحانه من ترك الهجرة، رغب فيها بما يسلي عما قد يوسوس به الشيطان من أنه لو فارق رفاهية الوطن وقع في شدة الغربة، وأنه ربما تجشم المشقة فاخترم قبل بلوغ القصد، فقال -تعالى- {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً } [النساء: ١٠٠] (٢)

٢- بلاغة أسلوب الشرط في قوله {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } نلاحظ هنا أنه جاء بـ (من) دون (إن) لأن هذا المقام مقام حث على الهجرة لما فيها من خير، والتعبير بـ(إن) هنا غير مستساغ لثقلها، كما نلاحظ أن الكلام بُنى على أسلوب الشرط تحقيقًا لوعد الله بأن المهاجر يجد سعة.

وفي ذلك يقول العلامة أبو السعود: والتعبير بهذا فيه ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها أي: يجد فيها متحولا ومهاجرًا، وإنما عبر عنه بذلك تأكيدًا للترغيب لما فيه من الإشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه

---

(١) المناسبة بين الآيات والسور علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللغة: المقاربة وفلان يناسب فلانا أي: يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس: الوصف المقارب للحكم، لأنه إذًا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها -والله أعلم- إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر. البرهان في علوم القرآن (٣٥/١)

(٢) نظم الدرر:(٣٠٤/٢)

المهاجر من الخير والنعمة إلى ما يكون سببًا لرغم أنف قومه الذين هاجرهم)[١]

٣- التعبير بالفعل المضارع في قوله "يهاجر" للدلالة على التجدد والاستمرار، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى اختيار لفظ الهجرة وذلك للإعلاء من قيمة الهجرة إلى الله وبيان فضل المهاجرين، والمتتبع لآيات القرآن يجد آيات كثيرة تمدح الهجرة وتثنى على أهلها كما أن فيه أيضًا إشارة إلى إخلاص الأعمال وأن تكون من أجل الله -تعالى-[٢]

وقال الزمخشرى: (قالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهدًا في الدنيا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله)[٣] لذلك قال ربنا:(يجد فى الأرض مراغما..) بالتعبير بالمضارع فى الجواب أيضا لبيان استمرار عطاء الهجرة فى سبيل الله وأن خيرها يتجدد ولا ينقطع، وكذلك التعبير بـ"يخرج" تجددا له وترغيبا فيه وأنه خير مادام فى سبيل الله وكل هذا من خصوبة "من" الشرطية .

٤- التقديم والتأخير[٤] في قوله "يجد في الأرض مراغما كثيرًا وسعة" حيث قدم المراغم على السعة، (وإنما قدم في الآية ذكر رغم الأعداء على ذكر سعة العيش لأن ابتهاج الإنسان الذي يهاجر عن أهله وبلده بسبب شدة ظلمهم عليه بدولته من حيث إنها تصير سببًا لرغم

---

(١) تفسير أبي السعود (٢/٢٢٤)

(٢) أشار إلى قريب من هذا المعنى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى في تفسيره٤/٢٥٨٣

(٣) الكشاف:١/٥٩٠.

(٤) هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوًا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق البرهان في علوم القرآن -٧٧٠، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب٢/٣٢٤ ط:المجمع العلمى العراقى١٤٠٦-١٩٨٦

أنوف الأعداء، أشد من ابتهاجه بتلك الدولة من حيث إنها صارت سببًا لسعة العيش عليه)[١]

٥- العموم الوارد في قوله "وسعة" وذلك ليشمل السعة المادية والمعنوية

قال العلامة الماوردى: (في قوله:" وسعة" ثلاث تأويلات:

أحدها: سعة الرزق وهو قول ابن عباس.

الثاني: يعنى من الضلالة إلى الهدى ومن العيلة إلى الغنى، وهو قول قتادة.

الثالث: سعة في إظهار الدين [٢]

(والفصاحة أن يراد بالسعة سعة الأرض وكثرة المعاقل وبذلك تكون السعة في الرزق واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرح)[٣]

٦-التعبير بالخروج بعد الهجرة في قوله -تعالى- "ومن يخرج من بيته"

دون غيره من الألفاظ المقاربة للدلالة على أن أجره ثبت له وإن لم يصل إلى الغاية المنشودة فبمجرد خروجه من بيته تحقق الأجر له.

وفي هذا يقول العلماء: "ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت" أي: يحل به قبل أن يصل إلى المقصد، ويحط ترحال التسيار بل وإن كان ذلك خارج بابه كما يشعر به إيثار الخروج من بيته على المهاجرة و"ثم" لا تأبى ذلك)[٤]

---

(١) التفسير الكبير للإمام فخرالدين الرازى١١/١٥ ط:دار الفكر ط:الأولى١٤٠١-١٩٨١م

(٢) النكت والعيون لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى١/٥٢٢ ط:دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) المحرر الوجيز:٢/١١٩٠

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسى٥/١٢٧ ط:دار إحياء التراث العربي بيروت والتحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور٤/٢٣٧ مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان ط:الأولى١٤٢٠-٢٠٠٠م

٧- سر مقارنة الشرطين مقارنة متصلة حيث جاء الشرط الأول في قوله "ومن يهاجر.."وجاء الثاني في "ومن يخرج.."

هذا فيه دلالة واضحة على أن المهاجر مثاب في كلا الحالتين (إما أن يرغم أنف أعداء الله ويذلهم بسبب مفارقته لهم واتصاله بالخير والسعة، وإما أن يدركه الموت ويصل إلى السعادة الحقيقية والنعيم الدائم)[١]

٨- بلاغة العطف بالواو فى قوله (مهاجرا إلى الله ورسوله) يفيد خصوصية الهجرة إلى المدينة المنورة بأنوار المصطفى صلى الله عليه وسلم .

٩- بلاغة العطف بحرف العطف(ثم) دون غيره من أحرف العطف، لأن الواو لمجرد العطف أو للجمع بين المتعاطفين، ولكن (ثم)تفيد الترتيب مع التراخي، والمقصود: إن أدركه الموت بعد خروجه، وهو في طريقه، ولذلك يقول العلامة الآلوسى: (وجىء بثم بدل الواو تتميما لهذه الدقيقة)[٢] وهو أن ثبوت الأجر مترتب على خروجه من بيته وظهور صدق نيته.

١٠- في التعبير بقوله "فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىَ الله" بعث للطمأنينة في قلوب المهاجرين، وحفز لهم على الهجرة من أجل إعلاء كلمة الله؛ لأنهم إذا وصلوا إلى دار هجرتهم فقد راغموا أنف أعدائهم ورزقهم الله بالخير من فضله، وإن ماتوا قبل أن يصلوا أعطاهم – سبحانه- ثواب المهاجرين كاملا ببركة حسن نياتهم، وكافأهم على ذلك أجرًا جزيلا لا يعلم مقداره إلا هو)[٣]

١١- التعبير بالماضي في قوله –تعالى- "وكان الله غفورًا رحيما" والبلاغة هنا في هذا التعبير تقرير وتحقيق وقوع المغفرة والرحمة

---

(١) روح المعاني:١٢٨/٥.

(٢) روح المعاني:١٢٨/٥.

(٣) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/محمد سيد طنطاوى١٠٤٩/١.

منه[1] وليس المراد المضي المجرد، بل كان ولا يزال، وقد ورد أن رجلا سأل عبد الله ابن عباس -رضى الله عنهما- عن تعبير القرآن بمثل هذا فقال: سمعت الله يقول "وَكَانَ اللَّهُ . . ." كأنه شيء كان؟ فقال ابن عباس: أما قوله "كَانَ" فإنه لم يزل ولا يزال، "هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[2]

١٢- المبالغة في قوله " غفورًا رحيما" حيث عبر هنا بصيغة المبالغة للدلالة على كثرة مغفرته ورحمته - سبحانه- بعباده عامة وبالتائبين خاصة.

وفي هذا يقول العلامة الآلوسى:(قوله "غفورا" أي: مبالغًا في المغفرة فيغفر ما فرط منه في الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة إلى وقت الخروج "رحيما" مبالغًا في الرحمة فيرحمه - سبحانه- بإكمال ثواب هجرته ونيته[3]

١٣-التذييل[4] في قوله "وكان الله غفورًا رحيما" إنه لما قال "فقد وقع أجره على الله" أفادت هذه الجملة مغفرة الله له، فكان ختام الآية مشتملا على ذلك المعنى تأكيدا له.

وقال البقاعى: (ولما كان بعضهم ربما قصر به عن البلوغ توانيه في سيره أو عن خروجه من بلده فظن أن هجرته هذه لم تجبُر تقصيره

---

(١) قال العلامة الزركشى في البرهان:(يغلب التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريرًا وتحقيقًا لوقوعه) صـ:٨٥٦.

(٢) تفسير ابن أبى حاتم:٧٥/٤ و٣ من سورة الحديد.

(٣) روح المعاني:١٢٩/٥.

(٤) هو أن يؤتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه. الإتقان في علوم القرآن (١٨٧/٣) ط:دار الحديث القاهرة

قال "وكان الله غفورًا" أي: لتقصير إن كان "رحيما" يكرم بعد المغفرة بأنواع الكرامات)[١]

وفي الجمع بين هاتين الصفتين بيان مزيد رحمة الله بعباده

والمغفرة: (أن يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته) [٢]

والرحمة:(هي إرادة إيصال الخير) [٣]

الآية الثانية {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا } [٤]

سبب نزول هذه الآية:

أخرج الطبري بسنده إلى علي قال: سأل قومٌ من التجار رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا نضرب في الأرض، فكيف نصلي؟ فأنزل الله{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ } ثم انقطع الوحي. فلما كان بعد ذلك بِحَوْلٍ، غزا النبي ﷺ فصلى الظُّهر، فقال المشركون: لقد أمْكَنكم محمد وأصحابه من ظهورهم، هلا شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: إنّ لهم أخرى مثلها في إثرها! فأنزل الله -تبارك وتعالى- بين الصلاتين: ﴿{إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ}إلى قوله: {إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } فنزلت صلاة الخوف)[٥]

---

(١) نظم الدرر:٢/٣٠٥.

(٢) التعريفات للعلامة على بن محمد بن على الجرجانى٢٨٦ تح أ: إبراهيم الإبيارى ط:دار الكتاب العربي بيروت ط:الأولى١٤٠٥.

(٣) السابق (١٤٦/١)

(٤) سورة النساء:١٠١.

(٥) جامع البيان عن تأويل القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى١٢٦/٩ تح العلامة أحمد شاكر ط:مؤسسة الرسالة ط:الأولى١٤٢٠-٢٠٠٠م

١٤- مناسبة الآية لما قبلها:

(لما ذَكَرَ الجِهَاد ذَكَرَ أحد الأمُور التي يَحْتَاج إليها المُجَاهِد، وهو مَعْرِفَة كَيْفِيَّة أداء الصَّلاةِ في الخَوْف، والاشْتِغَال بمُحارَبَة العَدوّ) (١)

١٥- بلاغة التعبير بأداة الشرط (إذا) عبر بها هنا دون غيرها، وهى ظرف لما يستقبل من الزمان، مناسبة لمقام الآية، كما أنها تفيد التحقيق، وهذا التعبير يوحى بأهمية الضرب في الأرض واستغلال ثرواتها والسعي من أجل الحياة فذاك جهاد مشكور لا يقل أهمية عن جهاد الأعداء قال -تعالى{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } (٢)

وقال -عز من قائل- {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (٣)

يقول الشيخ محمد الغزالى _رحمه الله_

(الحياة في سبيل الله كالموت في سبيل الله جهاد مبرور! وإن الفشل في كسب الدنيا يستتبع الفشل في نصرة الدين! وإن الواجد الذي ينزل عما عنده خير من المفلس الذي لا ينزل عن شيء، لأنه لا يملك أي شيء.. إن السلبية لا تخلق بطولة، لأن البطولة عطاء واسع ومعاناة أشد)(٤)

(والحق أن غيرنا تحرك على سطح الأرض فعمرها وملكها، وترك عليها عقيدته ولغته. والمسلمون أولى بالتنقل في أرض الله، كي ينشروا رسالتهم، ويصلوا الخلق بخالقهم)(٥)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقى٦/٦٠١ تح أ: عادل عبد الموجود وآخرين ط:دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى١٤١٩-١٩٩٨م، نظم الدرر للبقاعى٢/٣٠٣.

(٢) سورة الجمعة:١٠.

(٣) سورة الملك:١٥.

(٤) علل وأدوية للشيخ محمد الغزالي صـ:١٩٠ ط:دار نهضة مصر الطبعة الأولى.

(٥) نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالى١/٥٧ط:دار نهضة مصر الطبعة الأولى.

كما نلاحظ سر التعبير بقوله "في الأرض" ليشمل ما كان في البر والبحر.

قال العلامة الآلوسى: والمراد من الأرض ما يشمل البر والبحر، والمقصود التعميم أي إذا سافرتم في أي مكان يسافر فيه من بر أو بحر فليس عليكم جناح أي حرج وإثم أن تقصروا)[١]

١٦- التقديم والتأخير حيث قدم جواب الشرط وهو قوله: "فليس عليكم جناح" على فعله في قوله: "إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا" وفي تقديم الجواب بيان لرفع الحرج عن أمة الإسلام وهذه قاعدة الشريعة العامة قال -تعالى-: "{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [٢] وقال: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [٣]

وفيه طمأنينة لقلوبهم بحيث لم يبادرهم بالخوف ، كما أنه أراد أن يثبت قصر الصلاة في السفر وإن لم يكن هناك خوف ولو قدم الشرط لتوهم أن قصر الصلاة مقيد بحالة الخوف .....وتلك بلاغة النظم.

١٧- العموم المفهوم من قوله: "أن تقصروا من الصلاة" حيث لم يقيد القصر بحالة الخوف فقط أما ما يفيد ظاهره التقييد بحالة الخوف في الآية (فلأنها نزلت على غالب أسفار النبيﷺ وأكثرها لم يخل عن خوف قتال الكفار فلا يمكن الاستدلال بمفهومها على عدم جواز القصر في حالة الأمن ولا في حالة الخوف بسبب آخر، على كل محنة وبلية وشدة فهي فتنة)[٤]

---

(١) روح المعاني:٥/١٣١.

(٢) سورة البقرة:١٨٥.

(٣) سورة الحج:٨٧.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان تأليف نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى٢/٤٨٢تح الشيخ/زكريا عميران ط:دار الكتب العلمية بيروت ط:الأولى١٤١٦-١٩٩٦م.

والذي يدل على أن القصر غير مقيد بحالة الخوف فقط حديث يعلى بن أمية-رضي الله عنه- لما سأل عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- قال: قلت لعمر بن الخطاب: أعجبُ من قصر الناس الصلاة وقد أمنوا، وقد قال الله تبارك و-تعالى-: "أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا"! فقال عمر: عجبتُ مما عجبتَ منه، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فقال: صدقة تصدَّق الله بها عليكم، فاقبلوا صَدقته.) (١)

وهذا من أدلة الجمهور ردًا على القائلين بعدم قصر الصلاة في الأمن(٢)

١٨- بلاغة التعبير بـ(من) التبعيضية في قوله "أن تقصروا من الصلاة"

للدلالة على أن القصر يراد به إسقاط بعض الركعات ولم يقل أن تقصروا الصلاة إشارة إلى أن المؤمن لا تسقط عنه الصلاة بحال فهي النور الذي يبدد الله به ظلمات الحياة وهى الصلة الوثيقة بين العبد وربه.

قال العلامة البقاعى وهو يشير إلى سر التعبير:(ولولا إنها لا رخصة فيها بوجه لوضعتها عنكم في مثل هذه الحالة، أو جعلت التخفيف في الوقت فأمرت بالتأخير، ولكنه لا زكاء للنفوس بدون فعلها على ما حددت من الوقت وغيره)(٣)

قال العلامة ابن عادل الدمشقي:(حَمل لفظ القصر على إسقاط بعض الركعات أولى لوجوه:

أولها: حديث يعلى بن أمية-رضي الله عنه- مع عمر-رضي الله عنه-.

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ك: الصلاة ب: صلاة المسافرين وقصرها ١٤٣/٢.

(٢) تفسير العلامة النيسابورى٢٨٤/٢.

(٣) نظم الدرر:٣٠٦/٢-٣٠٧.

ثانيها: القصر عبارة عن أن يؤتى ببعض الشيء ويقتصر عليه فأما أن يؤتى بشيء آخر فذلك لا يسمى قصرا.

ثالثها: أن (من) في قوله "من الصلاة" للتبعيض وذلك يوجب الاقتصار على بعض الصلاة.

رابعها: أن لفظ القصر كان في عرفهم مخصوصًا بتنقيص عدد الركعات ولهذا لما صلى النبى ﷺ الظهر ركعتين قال ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت؟

خامسها: القصر بمعنى هيئة الصلاة المذكورة في الآية التي بعدها يوجب أن يكون المراد من هذه الآية بيان القصر بمعنى حذف عدد الركعات لئلا يلزم التكرار)[١]

١٩- سر التعبير بأداة الشرط (إن) في قوله "إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا" دون غيرها، هنا عبر بـ(إن) التي تفيد استبعاد وقوع الشيء أو التردد في حصوله إشارة إلى أن سمة المؤمن أن لا يخاف من أحد سوى الله من ناحية، ومن ناحية أخرى أن يقلل من شأن الكافرين في قلوب المؤمنين وقد قال الله -تعالى-: "الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله وكفي بالله حسيبا"[٢]

ولا يغيب عنا أن القصر منحة إلهية تفضل الله بها على عباده، وللمؤمن أن يقصر في حالة السفر سواء أكان هناك خوف من عدو أو غيره أم لم يكن كما أجاب عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-

(١) اللباب في علوم الكتاب:٦/٦٠٣-٦٠٤. بتصرف.
(٢) سورة الأحزاب:٣٩.

وقد قال الشافعى _رحمه الله_ إن شاءَ أَتَمَّ، وإن شاءَ قَصَر، والقَصْر أفْضَل)[1]

٢٠- الإظهار في موضع الإضمار في قوله "إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا"

وهذه صورة من صور علم المعاني يعنون لها أيضا (بمجيء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر)

والسر في ذلك تسجيل صفة الكفر عليهم وبيان أنهم راسخون فيه، مصرون عليه

قال العلامة البقاعى: (أشار إليهم بالإظهار في موضع الإضمار وباسم الفاعل إشارة إلى أن من تلبس بالكفر ساعة ما، أعرق فيه، أو إلى أن المجبول على العداوة المشار إليه بلفظ الكون إنما هو الراسخ في الكفر المحكوم بموته عليه فقال "إن الكافرين" أي: الراسخين منهم في الكفر (كانوا) جبلة وطبعا) [2]

كما يصلح أن تكون جملة "إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا" جملة تعليلية لما قبلها ويكون فيها شبه كمال اتصال كأنه قيل: لماذا يفتننا الذين كفروا؟ فقيل: إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا، وهو من مواضع الفصل بين الجمل، أي الفصل اللفظى لأنها متصلة من ذات نفسها دون حرف عطف يربطها.

٢١- الحذف حيث حذف جواب الشرط في قوله "إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا" لدلالة السابق عليه[3]

٢٢-إيثار التعبير بلام الجر مع ضمير المخاطب (لكم) دون (عليكم) في قوله: "إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا"

---

(١) اللباب في علوم الكتاب:٤/٦٠٤.

(٢) نظم الدرر:٢/٣٠٦-٣٠٧.

(٣) روح المعاني:٥/١٣٤ والتفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/محمد سيد طنطاوى١/١٠٥١

إشارة إلى أنهم مغلوبون، ولأن التعبير باللام التي تفيد الملكية أخف على النفس من التعبير بـــ(علي) التي تفيد العلو والقهر(١)

والذي يؤيد هذا المعنى التعبير بلفظ (عدوا) دون أعداء حيث عبر به وهو يشبه المصادر في الوزن، ويفيد لفظه الإفراد تقليلا من خطورتهم في نفوس المؤمنين ولتقوى قلوبهم(٢)

٢٣- في قوله -تعالى-: "إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا" هنا ضرب من أضرب الخبر(وقد أكد سبحانه هذه العداوة بإن الدالة على التوكيد ،وبكان المفيدة للدوام والاستمرار وبوصف هذه العداوة بالسفور والظهور، لكى يحترس المسلمون منهم أشد الاحتراس) (٣)

٢٤- وضع الظاهر موضع المضمر في قوله -تعالى-: "إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا".

والذي يمكن أن يقال:هنا إنه وضع الظاهر موضع المضمر والغرض منه _والله أعلم_ إيقاظ همة المؤمنين وأخذ الاستعداد الكامل حتى لا يدعوا أدنى فرصة لعدوهم أن ينال منهم فقال: "إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا".

وعليه فالآية عنيت بأمر الحذر من هؤلاء عناية بالغة.

الآية الثالثة:

قال الله -تعالى-: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ

(١) نظم الدرر:٣٠٦/٢.

(٢) نظم الدرر:٣٠٦/٢. الدر المصون:٢١٥/١

(٣) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى١٠٥١/١.

عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } (١)

أخرج الإمام الواحدى في كتابه أسباب النزول بسنده إلى ابن عباس _رضي الله عنهما_ قال: خرج رسول الله ﷺ فلقي المشركين بعسفان، فلما صلى رسول اللهﷺ الظهر فرأوه يركع ويسجد هو وأصحابه، قال بعضهم لبعض: كان هذا فرصة لكم لو أغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم، فقال قائل منهم: فإن لهم صلاة أخرى هي أحب إليهم من أهليهم وأموالهم، فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها، فأنزل الله تبارك وتعالى- على نبيه "وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة .... الآية، وأعلم ما ائتمر به المشركون، وذكر صلاة الخوف)(٢)

٢٥-مناسبة الآية لما قبلها:

لما أتم ــ بيان القصر في الكمية مقروناً بالخوف لما ذكر، وكان حضور النبيﷺ مظنة الأمن بالتأييد بالملائكة ووعد العصمة من الناس، وما شهر به من الشجاعة ونصر به من الرعب وغير ذلك من الأمور القاضية بأن له العاقبة؛ بين ــ حال الصلاة في الكيفية عند الخوف، وأن صلاة الخوف تفعل عند الأنس بحضرته كما تفعل عند الاستيحاش بغيبته ﷺ، فجوازها لقوم ليس هوﷺ فيهم مفهوم موافقة، فقال -"وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة"(٣)

٢٦- أسلوب الشرط وبلاغة التعبير به مع إيثار حرف الجر المفيد للظرفية.

(١) سورة النساء:١٠٢.
(٢) أسباب النزول للواحدى١/١٢٠.
(٣) نظم الدرر:٢/٣٠٧.

فى هذه الآية مشروعية صلاة الخوف، وهناك خلاف قائم بين العلماء حول مشروعية هذه الصلاة بعد النبي ﷺ والراجح في هذه المسألة أن هذه الصلاة مشروعة للمسلمين أبدا، وإن كان الخطاب هنا للرسول ﷺ فلا يدل على أن الحكم مقصور عليه فهو كقوله {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} (١)

ومحمل هذا الشرط عندهم جار على غالب أحوالهم يومئذ من ملازمة النبيﷺ لغزواتهم وسراياهم إلا للضرورة، كما في الحديث "لولا أن قوما لا يتخلفون بعدي ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية سارت في سبيل الله" ، فليس المراد الاحتراز عن كون غيره فيهم ولكن التنويه بكون النبي فيهم. وإذ قد كان الأمراء قائمين مقامه في الغزوات فالذي رخص الله للمسلمين معه يرخصه لهم مع أمرائه)(٢)

وسر اختيار (إذا) هنا الدلالة على تحقق حضور النبيﷺ بين المؤمنين بمنهجه وسنته والذي يؤيد هذا ما صرح به القرآن الكريم في قوله:{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٣)

وقوله: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (٤)

وفي التعبير بـ (في) المفيدة للظرفية دلالة أيضًا أن يكون تعلق الصف المسلم بالنبيﷺ تعلقًا قد تغلغل داخل حناياهم وملأ قلوبهم وليس تعلقًا ظاهريا فقط.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير للعلامة عبد الرحمن على بن محمد الجو زى٢/١٨٥ ط:المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة١٤٠٤. هـ

(٢) التحرير والتنوير:٤/٤٢١.

(٣) سورة آل عمران:٣١.

(٤) سورة النساء :٦٥.

ويلتقي مع هذا المعنى في الآية التعبير بلفظ المعية في قوله "فلتقم طائفة منهم معك" وهذا يشير إلى مدى التلاحم بين النبي والمؤمنين.

٢٧- المجاز بالحذف في قوله "فأقمت لهم الصلاة" إذ المعنى فجاء وقت الصلاة فأقمت لهم الصلاة وهذا له نظائر كثيرة في القرآن منها {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا} (١) **وغيره كثير.**

٢٨- دلالة التعبير بالفعل المضارع المقترن بلام الأمر(٢)

تكرر التعبير بالفعل المضارع المقترن بلام الأمر في هذه الآية ست مرات وهى:(فلتقم – وليأخذوا أسلحتهم – فليكونوا – ولتأت – فليصلوا – وليأخذوا حذرهم) ويفهم من هذا استحضار صورة المؤمنين وهم نازلون على أمر الله في كل أمر من هذه الأمور، وهذا أبلغ من التعبير بالفعل الأمر المجرد فكأن المؤمنين استجابوا لكل أمر منها وهم متلبسون به دون تردد، وللدلالة على استمرارية قيامهم بها.

قال العلامة الموصلي في المثل السائر: (ورود لام الأمر في الكلام لا يجيء إلا لضرب من المبالغة..... وتأتى لتحقيق الأمر وإثباته في نفوس المؤمنين وأنه كائن لا محالة) (٣)

٢٩- سر التعبير بقوله: "وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم" مستخدما لام الأمر التي هي للتأكيد جاء الأمر في الآية بأخذ الأسلحة ثلاث مرات

---

(١) سورة يوسف٤٥-٤٦.

(٢) هذه اللام لام الأمر وتسمى اللام الطلبية وهى حرف يدل على الأمر (شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل١٣/٤) تح الشيخ: محي الدين عبد الحميد ط:دار التراث القاهرة الطبعة العشرون١٤٠٠-١٩٨٠م

وهذه اللام جازمة للفعل المستقبل للمأمور الغائب (كتاب اللامات لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى صـ:٢ تح:مازن المبارك ط:دار الفكر دمشق ط:الثانية١٩٨٥م.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبى الفتح ضياء الدين الموصلى٥٢/٢-٥٣.بتصرف تحقيق الشيخ محى الدين عبد الحميد ط: المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥م.

الأولى في قوله: "وليأخذوا أسلحتهم" ونرى هنا أن الأمر جاء مؤكدًا باللام لأن الأمر وجه حينئذ لنصف جيش المسلمين والباقي منشغل بالصلاة مع النبي ﷺ فاقتضى الأمر زيادة الحذر من الفئة الحارسة.

الثانية في قوله: "وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم" وهنا أمر بأخذ الحذر والأسلحة معًا، وهما أمران عظيمان وزيادة المبنى تقتضي زيادة المعنى، وهذا الأمر فيه زيادة أخذ الحذر والأسلحة في آخر الصلاة وجاء مؤكدًا في قوله: "فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم"

وفي هذا قال العلامة البقاعي: (خص آخر الصلاة بزيادة الحذر إشارة إلى أن العدو في أول الصلاة قلما يفطنون لكونهم في الصلاة بخلاف الآخر، فلهذا خص بمزيد الحذر)[١]

والثالثة في قوله "وخذوا حذركم" وهذا الأمر لما تكرر قبل هذا مرتين لم يؤكده اكتفاء بما سبق مع مراعاة أن التكرار في حد ذاته يعد من المؤكدات، وهذا يتفق مع سياق الآية المبنية على توالى الأوامر والتوجيهات المتتابعة على صيغة واحدة وهى المضارع المقترن بلام الأمر إشعارًا بأهمية الموضوع وخطورته.

واختيار لفظ الأخذ له دلالة واضحة هنا حيث استعمل فيه الحقيقة والمجاز، لأن أخذ الحذر كناية عن شدة اليقظة ودوام الترقب، وأخذ الأسلحة حقيقة في حملها للدفاع بها عن النفس[٢]

٣٠- التقديم حيث قدم الأمر بأخذ الحذر على الأمر بأخذ الأسلحة في قوله: "وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم" لأن أخذ الأسلحة نوع من الحذر، ولأن الحذر عند انتقال الصفوف وتحركها واجب حتى لا

(١) نظم الدرر:٣٠٨/٢. واللباب في علوم الكتاب:٦٠٩/٦.

(٢) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى١٠٥٦/١.

يباغتهم الأعداء وهم يتحولون من مكان إلى مكان، وهذا أشبه بتغيير الخطط وقت القتال، وهو أمر له خطورته فوجب أن تشتد يقظة المسلمين حينئذ(١) وذلك لأن الكفار متأهبون تأهبًا شديدًا يظهر من تعبير القرآن عنهم بقوله: "ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم"

وأقول ماذا تغنى الأسلحة مع الغفلة؟ وعليه فالحذر من ألزم اللوازم مع المقاتل.

٣١- بلاغة التعبير بالفعل الماضي "ودّ" في قوله: "ود الذين كفروا لو تغفلون"

يرتبط التعبير بالفعل (ود) بإرادة القلب والعقل معًا وليس العقل فقط كما في قوله -تعالى- {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ} [(٢) وقوله{وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (٣) وقوله: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٤)

ويؤيد هذا المعنى التعبير بقوله (تغفلون)

---

(١)السابق ١/١٠٥٦.

(٢) سورة البقرة:١٠٥.

(٣) سورة آل عمران :٦٩.

(٤) سورة المجادلة:٢٢.

قال العلامة البقاعى:(ودَّ) أي تمنى تمنيا عظيما "الذين كفـــروا" أي باشروا الكفر وقتًا ما، فكيف بمن هو غريق فيه "لو تغفلون" أي تقع لكم غفلة في وقت ما)[١]

ويذهب بعض العلماء إلى أن المشركين يظنون أن المسلمين تلهيهم عبادتهم عن أمر دينهم فنبههم الله لذلك حتى لا يكونوا عند ظن المشركين فقال: (ودهم هذا معروف إذ هو شأن كل محارب، فلـــيس ذلـــك المعنـــى المعروف هو المقصود من الآية، إنما المقصود أنهـــم ودوا ودًا مســـتقربًا عندهم، لظنهم أن اشتغال المسلمين بأمور دينهم يباعد بينهم وبين مصالح دنياهم جهلا من المشركين لحقيقة الدين، فطمعوا أن تلهيهم الصلاة عـــن الاستعداد لأعدائهم، فنبه الله المؤمنين إلى ذلك كيلا يكونـــوا عنـــد ظـــن المشركين، وليعودهم بأخذ الحزم في كل الأمور، وليريهم أن صلاح الدين والدنيا صنوان)[٢]

لكنى أميل إلى الرأي الأول بدليل العطف بالفاء في قوله –تعالى– " فيميلون عليكم ميلة واحدة" وهى تفيد الترتيب والتعقيب دلالـــة علـــى أن المشركين يتمنون ولو لحظة غفلة واحدة من المؤمنين ينقضون بها عليهم، وكذلك التأكيد بقوله (واحدة) بعد اسم المرة (ميلة) كما قال صاحب البحر المديد: (تمنوا أن ينالوا مـــنكم غـــرة فيشـــدون علـــيكم شـــدة واحـــدة فيستأصلونكم)[٣]

(واستعملت صيغة المرة هنا كناية عن القوة والشدة، وذلك أن الفعل الشديد القوي يأتي بالغرض منه سريعًا دون معاودة علاج، فـــلا يتكـــرر الفعل لتحصيل الغرض، وأكد معنى المرة المستفاد من صيغة فعلة بقولـــه

(١) نظم الدرر:٣٠٨/٢.
(٢) التحرير والتنوير:٢٤٢/٤-٢٤٣.
(٣) البحر المديد (١٣٣/٢) .

(واحدة) تنبيها على قصد معنى الكناية لئلا يتوهم أن المصدر لمجرد التأكيد لقوله (فيميلون)[١]

٣٢- سر تقديم الأسلحة على الأمتعة في قوله: " ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم"

القاعدة البلاغية عند البلاغيين: تقديم ما هو أهم في سياق الحديث. والأمتعة هنا مهمة (فيها زادكم وبها تستمرون على القتال من غير أن يصيبكم جوع أو عرى)[٢] غير أن الأسلحة أهم فما تغنى كثرة الأمتعة مع عدم وجود الأسلحة فهدف الأعداء في المقام الأول تجريد المؤمنين من سلاحهم حتى يسهل عليهم القضاء عليهم من ثم بين الحق لجنده أن هدف أعدائهم الحصول على سلاحهم فقدمه في الذكر لتقديمه في الرتبة والمكانة.

٣٣- بلاغة العطف بالفاء في قوله: "فيميلون عليكم ميلة واحدة" دون غيرها من أحرف العطف.

(فاء العطف فيها معنيان العطف والإتباع فإذا وقعت في جواب الشرط خلعت عنها دلالة العطف وأخلصت للإتباع)[٣]

وعليه فهي تدل على الترتيب والتعقيب، وفيه دلالة على حرص الكافرين على الانقضاض على المؤمنين لحظة غفلتهم.

٣٤- التأكيد في قوله: (واحدة) بعد اسم المرة ميلة

(اسم المرة يفيد العدد، والذي يهمنا هو أن التقوية بالتأكيد أو التحديد قرينة معنوية على معنى المفعول المطلق، وفي إيراد اسم المرة بعد الفعل تعزيز لعنصر الحدث ومعنى الفعل)[٤]

---

(١) التحرير والتنوير:٤/٢٤٣.

(٢) زهرة التفاسير للشيخ محمد أبى زهرة٣/٨٣٣.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبى البركات عبدالرحمن الأنبارى١/٢٤٩. ط: دار الفكر دمشق

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها د: تمام حسان صـ:١٩٨ ط: دار الثقافة الدار البيضاء١٩٩٤م.

وعليه فإن التأكيد بالمفعول المطلق هنا في حد ذاته يعطـــى الأمـــر اهتماما، وإذا أضيف إليه التأكيد بقوله (واحدة) فهذا يوحى بقوة تـــرابطهم وإرادة القضاء على المسلمين، وهذا كله يثير همة المسلمين ويوقفهم على حجم عداوة عدوهم فوجب الاستعداد على نحو ما قال الشاعر:

أنا لا ألوم المستبد

إذا تجبر أو تعدى

فسبيله أن يستبد

وشأننا أن نستعد[١]

٣٥- سر التعبير بالقيام والإتيان في قوله: (فلتقم طائفة –ولتأت طائفة- نلاحظ أن القرآن عبر بالقيام ثم بالإتيان بعد

والذي أراه _والله أعلم_ أنه عبر بالقيام في الأولى لمناسبة الحـــال وهو الاستعداد للصلاة، وبالإتيان في الثانية لأن الأمر موجه للطائفة التي كانت تتولى أمر الحراسة وقت صلاة الطائفة الأولى.

ويلاحظ في اختيار اللفظين أن القيام فيه معنـــى النشـــاط والقـــوة، والإتيان فيه معنى الاستجابة والطواعية وهذه الصفات لابد من تحققها في أهل الإيمان.

واختيار لفظ الطائفة لأنه يدور حول معنى الجماعة المتحـــدة التـــي تتصف بالقوة، وباستقراء ورود هذه المادة في القرآن يتضح هذا الملحظ.

وفى قوله: "فليس عليكم جناح أن تقصروا مـــن الصـــلاة" وقولـــه: "ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضـــعوا أسلحتكم"

هنا رفع للإثم والحرج عن الجماعة المسلمة فـــي الموضـــع الأول خفف عنهم في الصلاة

(١) البيتان من الكامل المجزوء

قال البقاعي: (لما غزوا خفف عنهم فأذن لهم أن يصلوا تلك الصلوات ركعتين ركعتين)(١)

وفي الموضع الثاني راعى الظروف والأحوال وتلك سمة الشريعة الغراء

(رخص لهم في وضع الأسلحة عند المشقة، وقد صار ما هو أكمل في أداء الصلاة رخصة هنا، لأن الأمور بمقاصدها وما يحصل عنها من المصالح والمفاسد، ولذلك قيد الرخصة مع أخذ الحذر، وسبب الرخصة أن في المطر شاغلا للفريقين كليهما، وأما المرض فموجب للرخصة لخصوص المريض)(٢)

وقال ابن عادل الدمشقي: (رَخَّصَ في وَضْع السِّلاح في حَالِ المَطَر والمَرَضِ؛ لأن السِّلاح يثْقُل حَمْلُه في هَاتين الحَالَتَيْن، أو لأن حدته تَفْسُد بالبَلَلِ، ولما رَخَّص في وَضْعَ السِّلاح حالَ المَطَرِ والمَرَضِ، أمر بالتَّيَقُّظ والحَذَرِ؛ لِئَلا يَهْجُم العَدُو عليهم)(٣)

وفي قوله "وليأخذوا أسلحتهم–وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم"

هنا تكرار في الأمر بأخذ الأسلحة مع زيادة في الأمر الثاني بأخذ الحذر

قال أبو السعود: (لعل زيادة الأمر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي ^ في شغل شاغل وأما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحرب، وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لما أن الاشتغال بالصلاة مظنة لإلقاء السلاح والإعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله –تعالى– "ود الذين كفروا لو تغفلون عن

(١) التحرير والتنوير:٤/٢٣٩.
(٢) التحرير والتنوير:٤/٢٤٣.
(٣) اللباب في علوم الكتاب:٦/٦١١-٦١٢.

أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة" فإنه استئناف مسوق لتعليل الأمر المذكور)[١] وتلك فائدة التكرار.

٣٦- التقديم في قوله: "ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم" هنا قدم جواب الشرط على أداته وفعله والتقدير "إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى فلا جناح عليكم أن تضعوا أسلحتكم"

والسر في التقديم التعجيل في بيان المخرج قبل عرض الضائقة مبالغة في العناية بالمؤمنين وأنهم محل رعاية ورحمة الرحيم سبحانه.

كما يصح في هذه الصورة البلاغية أن تدرس في أسلوب الحذف بأن نقول حذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه، أي إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى فلا جناح عليكم أن تضعوا أسلحتكم. والله أعلم

٣٧- التأكيد في قوله: "إن الله أعد للكافرين عذابًا مهينا"

هنا ضرب من أضرب الخبر مؤكد لطمأنينة نفوس المؤمنين، وللشيخ أبى زهرة كلام جميل في هذه الصورة حيث قال: (أكد سبحانه العذاب المهين الذي ينزل بهم في الآخرة بثلاثة مؤكدات؛ حرف (إن) ، وبأن الله -تعالى- هو الذي ينزله، وما أراده الله -تعالى- لابد واقع، وبالتعبير بكلمة (أعد) فإنها تفيد أنه هيىء لهم فعلا، وهو يستقبلهم، وهم صائرون إليه لا محالة) [٢]

ولا منافاة بين الأمر بأخذ الحذر هنا والوعد بالنصر، بل هنا حكمة أشار إليها البيضاوي فقال: (وعد المؤمنين بالنصر على الكفار بعد الأمر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة

(١) إرشاد العقل السليم:٢/٢٢٧.

(٢) زهرة التفاسير:٣/١٨٣٤.

عدوهم، بل لأن الواجب أن يحافظوا في الأمور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على اللهــ) (١)

الآية الرابعة:

{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُــوبِكُمْ فَــإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} (٢)

يأمر الله –تعالى– بكثرة الذكر عقيب صــلاة الخــوف وإن كــان مشروعًا مرغبًا فيه أيضًا بعد غيرها، ولكن هاهنا آكد لما وقع فيها مــن التخفيف في أركانها، ومن الرخصة في الذهاب فيها والإياب، وغير ذلــك مما ليس يوجد في غيرها، كما قال –تعالى– في الأشهر الحرم {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} (٣) وإن كان هذا منهيا عنه في غيرها، ولكن فيها آكد لشــدة حرمتها وعظمتها، ولهذا قال –تعالى{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ} أي في سائر أحوالكم، ثم قال –تعالى{فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} أي فإذا أمنتم وذهب الخوف، وحصلت الطمأنينة " فأقيموا الصلاة" أي فأتموها وأقيموها كما أمرتم بحدودها، وخشوعها، وركوعها، وسجودها، وجميع شؤونها)(٤)

٣٨- مناسبة الآية لما قبلها:

(لما علمهم سبحانه بما يفعلون في الصلاة حال الخوف، أتبع ذلك ما يفعلون بعدها لئلا يظن أنها تغني عن مجرد الذكر، فقال مشيرًا إلى تعقيبه به "فإذا قضيتم الصلاة"أي فرغتم من فعلها وأديتموها على حالة الخوف أو غيرها"فاذكروا الله" أي بغير الصلاة)(٥)

---

(١) أنوار التنزيل:٢/٢٤٧.

(٢) سورة النساء:١٠٣.

(٣) سورة التوبة من :٣٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ١/٦٧٩ ط: دار الفكر.

(٥) نظم الدرر:٢/٣٠٩.

٣٩- بلاغة التعبير بأداة الشرط (إذا) التي تفيد التحقيق دون غيرها إشارة إلى أنهم لما أمروا بالصلاة أجابوا وأدوها دونما تباطؤ أو تكاسل

قال الآلوسي: (فإذا أديتم صلاة الخوف على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودًا وعلى جنوبكم) [١] وفي هذا تعريض بتاركي الصلاة وبالذين يؤدونها كسالى وهى عليهم ثقيلة مع أنهم في أمن وسلام.

٤٠- التكرار في لفظ الصلاة حيث تكرر في آية واحدة ثلاث مرات، وهذا دليل على تأكيد أهميتها إذ هي الصلة بين الخالق والمخلوق، والإنسان في أوقات الشدة يكثر تعلقه بمالك النفع والضر – سبحانه–

قال ابن سيده (في هذه الآية لون من ألوان الفصاحة وهو التكرار في لفظ الصلاة)[٢]

٤١- العام الذي يراد به الخاص في قوله –تعالى–: "فإذا قضيتم الصلاة" (قوله

(فإذا قضيتم الصلاة) ظاهره العموم، وأجمعوا على أن المراد بها صلاة الخوف

خاصة، لأن السياق يدل على ذلك)[٣] ولا يتنافى ذلك مع العموم أيضا.

(واستعمل القضاء هنا فيما فعل في وقته ونظيره (فإذا قضيتم مناسككم) [٤]

(١) روح المعاني:٥/١٣٧.
(٢) إعراب القرآن لابن سيده٣/٣٢١.
(٣) السابق:٣/٣٢٥.
(٤) اللباب في علوم الكتاب:٦/٦١٣.

٤٢- أسلوب الترتيب في قوله: (فإذا اطمأننتم فاذكروا الله قياما وقعودًا وعلى جنوبكم) وفي هذا دليل على أهمية الصلاة والمحافظة عليها في جميع الأحوال قال الآلوسي: (داوموا على ذكره سبحانه في جميع الأحوال حتى في حال المسايفة والمقارعة والمراماة) [١]

والعطف بالفاء هنا لقصد التتابع في هذه الأعمال وعدم الغفلة عنها كما أن التعبير يفيد مراعاة أحوال الناس فالشريعة لا تلزمهم بوضع معين بل تضع الحلول والبدائل لجميع الفئات تمشيا مع قواعد الإسلام العامة ومنها: (رفع الحرج، والمشقة تجلب التيسير)

قال أبو حيان في بيان المعنى: (صلوها قياما في حال المسايفة والاختلاط ، وقعودًا جاثين على الركب من أنين، وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح، فهي هيئات لأحوال على حسب تفصيلها.

وقيل: قياما للأصحاء، وقعودًا للعاجزين عن القيام لزمانة أو جراحة أو من مرض، وعلى جنوبكم لمن لم يستطع القعود)[٢]

وفي المراد بالطمأنينة أحد قولين:

أحدهما: يعني فإذا أقمتم بعد السفر فأتموا الصلاة من غير قصر، وهذا قول الحسن، وقتادة، ومجاهد.

والثاني: معناه فإذا أمِنْتم بعد خوفكم فأتموا الركوع والسجود من غير إيماء ولا مشي، وهذا قول السدي .) [٣]

٤٣-الإظهار في موضع الإضمار:

في قوله "فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتا"

---

(١) روح المعاني:٥/١٣٧.

(٢) البحر المحيط:٣/٣٥٦. بتصرف

(٣) النكت والعيون:١/٥٢٦.

فأظهر الصلاة والسياق يقتضي "إنها كانت على المؤمنين" لزيادة التنبيه والتأكيد على أهميتها حيث ينبغي أن تكون ظاهرة وبارزة في المجتمع المسلم من ناحية ولا ينشغل المسلم عنها بحرب أو غيره من ناحية أخرى

قال البقاعى: ("إن الصلاة " –مظهرا– لما كان الأصل فيه الإضمار تنبيها على عظيم قدرها بما للعبد فيها من الوصلة بمعبوده)[١]

٤٤– شبه كمال اتصال[٢] في قوله (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتا) لأن الجملة الثانية جاءت جوابًا عن سؤال أثارته الأولى كأنه قيل لماذا نقيم الصلاة؟ فقال: إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتا.

٤٥– التأكيد في قوله:"إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا"

أكد هنا بـ (إن) و(كان) والوصف بالمصدر في (كتابا) والوصف به عند النحاة يدل على الثبوت والدوام وبقوله (موقوتا) أي مفروضًا واجبا[٣]

(وقد أكد الله –تعالى– فرضية الصلاة ووجوب أدائها في أوقاتها بـ "إن" المفيدة للتأكيد ، وبـ "كان" المفيدة للدوام والاستمرار، وبالتعبير عن الصلاة بأنها كتاب، وهو تعبير عن الوصف بالمصدر فيفيد فضل توكيد، وبقوله: "على المؤمنين" فإن هذا التركيب يفيد الإلزام والحتمية.

وكل ذلك لكي يحافظ المؤمنون عليها محافظة تامة دون أن يشغلهم عنها شاغل، أو يحول بينهم وبين أدائها حائل)[٤]

---

(١) نظم الدرر:٢/٣١٠

(٢) شبه كمال الاتصال من مسائل الفصل والوصل، وهو أن تكون الجملة الثانية في الفصل بمنزلة المتصلة بالأولى لكونها جوابًا عن سؤال اقتضته الأولى فتنزل منزلته فتنفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب٣/٥٢.

(٣) معاني القرآن للنحاس٢/١٨٣ تح أ: محمد على الصابوني ط: جامعة أم القرى –مكة المكرمة ط: الأولى١٤٠٩ هـ.

(٤) التفسير الوسيط د: محمد سيد طنطاوى١/١٠٦٠.

الآية الخامسة:

{وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (١)

(نهى الله -تعالى- المسلمين في هذه الآية الكريمة عن الوهن، وهو الضعف في طلب أعدائهم الكافرين وأخبرهم بأنهم إن كانوا يجدون الألم من القتل والجراح فالكفار كذلك، والمسلم يرجو من الله الثواب والرحمة ما لا يرجوه الكافر، فهو أحق بالصبر على الآلام منه، وتقرر هذا المعنى في آيات متعددة كقوله:{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ } (٢) وكقوله: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}(٣) إلى غير ذلك من الآيات) (٤)

سبب نزول هذه الآية:

سبب نزولها: أنَّ أبَا سُفْيَان وأصْحَابَهُ لما رَجَعُوا يوم أُحُد، بعث رسُول الله ﷺ طائفة في آثارِهِم، فَشَكوا ألَم الجِرَاحِ، فقال -تعالى- "وَلا تَهِنُوا في ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ"(٥)

٤٦- مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر بعض الأحكام التي يحتاج المجاهد إلى معرفتها عاد مرة أخرى إلى الحث على الجهاد فقال "وَلا تَهِنُوا في ابتغاء القوم" (٦)

---

(١) سورة النساء :١٠٤.

(٢) سورة آل عمران١٣٩-١٤٠.

(٣) سورة محمد:٣٥.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى٣٠٦/١ ط: دار الفكر بيروت١٤١٥هـ١٩٩٥م.

(٥) اللباب في علوم الكتاب:٦١٥/٦.

(٦) التفسير الكبير:٢٥/١١.

٤٧-بلاغة أسلوب النهى في قوله "ولا تهنوا في ابتغاء القوم"

يمثل هذا النهى قوة التنبيه على عدم الضعف في قلوب المؤمنين(زيادة في تشجيعهم على قتال الأعداء، وفي تهوين الأعداء في قلوب المسلمين، لأن المشركين كانوا أكثر عددًا من المسلمين وأتم عدة، وما كان شرع قصر الصلاة وأحوال صلاة الخوف، إلا تحقيقًا لنفي الوهن في الجهاد)[١]

ومن ثم عبر بلفظ القوم هنا دون التصريح بأوصافهم إشارة إلى أنهم ليسوا بالدرجة التي يستحقون فيها النص عليهم وفيه عدم المبالاة بأمرهم تقليلا من شأنهم من ناحية، وتقليلا من رهبة المؤمنين منهم.[٢]

٤٨- بلاغة التعبير بـ (إن) الشرطية التي تفيد معنى التقليل في قوله "إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون" الدلالة على تخفيف الألم في جانب المؤمنين حيث أكد بالضمير في جانب إيلام الكافرين.

٤٩- التعليل في قوله "إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون"

وفائدة هذا التعليل للنهى السابق في قوله "ولا تهنوا في ابتغاء القوم" هو دفع عزيمة المؤمنين لتكون مضاءة لا يلحقها خور أو وهن وهذا ما قاله الآلوسى:

هنا تعليل للنهى وتشجيع لهم أي ليس ما ينالكم من الآلام مختصًا بكم بل الأمر مشترك بينكم وبينهم، ثم إنهم يصبرون على ذلك فما لكم أنتم

(١) التحرير والتنوير:٤/٢٤٥.

(٢) بالرجوع إلى كتب اللغة تبين أن لفظ القوم عندهم (كل من يقوم الرئيس بأمره أو يقومون بأمره) الكليات لأبى البقاء الكفوى صـ:١١١١. تح عدنان درويش، محمد المصري ط: مؤسسة الرسالة بيروت١٤١٩هـ١٩٩٨م ويلحظ فيه معنى الضعف فهم على كل أمر إما أن يتولى غيرهم أمرهم لضعفهم وعجزهم، أو يقومون بالخدمة لنزول درجتهم عن المخدوم. والله أعلم.

لا تصبرون، مع أنكم أولى بالصبر منهم حيث إنكم ترجون وتطمعون من الله –تعالى– ما لا يخطر لهم ببال من ظهور دينكم الحق على سائر الأديان الباطلة ومن الثواب الجزيل والنعيم المقيم في الآخرة) (١)

٥٠- التقديم في قوله: "يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون" نلاحظ هنا أنه قدم إيلامهم على إيلام المؤمنين، وقدم رجاء المؤمنين على رجائهم، ففي الأول قدم إيلامهم تهوينًا على المؤمنين وتثبيتًا لقلوبهم، وقدم الرجاء في جانب المؤمنين لأنهم الأقرب إلى الله.

قال الماوردى: (هذه زيادة لكم عليهم وفضيلة خُصِصْتُم بها دونهم)(٢)

وقال ابن كثير: (أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وهو وعد حق، وخبر صدق، وهم لا يرجون شيئًا من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه، وفي إقامة كلمة الله وإعلائها) (٣)

٥١- التذييل في قوله "وكان الله عليما حكيما"

هذه الجملة مشتملة على معنى ما قبلها، إنه لما حفزهم على عدم الخوف من هؤلاء الكفار ما شجعهم على القتال إلا لأنه يعلم أنهم ظاهرون عليهم من ثم قال "وكان الله عليما حكيما"

قال الفخر الرازى: (لا يكلفكم شيئًا ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما هو عالم بأنه سبب لصلاحكم في دينكم ودنياكم)(٤)

---

(١) روح المعاني:٥/١٣٨.
(٢) النكت والعيون:١/٥٢٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٦٧٩.
(٤) التفسير الكبير:١١/٢٦.

الآية السادسة: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا}

سبب نزول هذه الآية:

ذكر الواحدي أن رجلا من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر ابن الحارث سرق درعًا من جار له يقال له قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم: والله ما أخذها وما له به من علم، فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إليّ طعمة ابن أبيرق، وشهد له أناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة، انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فكلموه في ذلك، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي، فهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفعل وكان هواه معهم وأن يعاقب اليهودي حتى أنزل الله -تعالى- – إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق – الآية كلها، وهذا قول جماعة من المفسرين.) (١)

٥٢-مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما صرح بأحوال المنافقين، واتصل بذلك أمر المحاربة وما يتعلق بها من الأحكام الشرعية، رجع إلى أحوال المنافقين، فإنهم خانوا الرسول ﷺ على ما لا ينبغي، فأطلعه الله على ذلك وأمره أن لا يلتفت إليهم، وكان بشير منافقًا ويهجو الصحابة وينحل الشعر لغيره، وأما طعمة فارتد، وأنه لما بين

(١) أسباب النزول للواحدى١٢٠-١٢١.

الأحكام الكثيرة عرف أنّ كلها من الله، وأنه ليس للرسول ٨ أن يحيد عن شيء منها طلبًا لرضا قوم . (١)

٥٣- التأكيد في قوله "إنا أنزلنا إليك الكتاب"

قال الآلوسي: (في تأكيد الحكم إيذان بالاعتناء بشأنه كما في إسناد الإنزال إلى ضمير العظمة تعظيما لأمر المسند)(٢)

٥٤-التقديم في قوله: "أنزلنا إليك الكتاب" هنا قدم الجار والمجرور على المفعول والمتبادر (أنزلنا الكتاب إليك) والسر في ذلك إفادة التخصيص أي أنه نازل عليك أنت وفيه اهتمام وتشويق(٣)

وقال البقاعى: (إليك أي خاصة وأنت أكمل الخلق)(٤)

٥٥- التأكيد في قوله (بالحق) حالة كونه كذلك، فالجار والمجرور متعلق بمحذوف، وجيء به تثبيتًا لمن نزل عليه الكتاب.) (٥)

ويشير إلى غاية التأكيد هنا الماوردي فيقول يحتمل قوله (بالحق) ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الكتاب حق .

والثاني: أن فيه ذكر الحق .

والثالث: أنك به أحق .) (٦)

وكون الكتاب حق أو فيه ذكر الحق أو أن النبى به أحق كل ذلك يقوى حجته ويقرر ثباته ﷺ.

---

(١) البحر المحيط:٣/٣٥٨.

(٢) روح المعاني:٥/١٤٠.

(٣) روح المعاني:٥/١٤٠.

(٤) نظم الدرر:٢/٣١١.

(٥) الدر المصون:٥/١٠٨.

(٦) النكت والعيون:١/٥٢٨.

٥٦- شبه كمال اتصال في قوله "لتحكم بين الناس بما أراك الله" كأنه قيل: لماذا أنزل بالحق؟ فجاء الجواب: لتحكم بين الناس بما أراك الله.

٥٧-سر التعبير بلفظ الناس دون المؤمنين في قوله "لتحكم بين الناس" الدلالة على عمومية رسالتهﷺ وأن في الإسلام تنظيما للعلاقات بين المسلم وغيره، وليكون العدل سببًا لهداية الضالين.

تلاحظ أن الآية لم تقل: بين المؤمنين، ولكن قالت: بَيْنَ النَّاسِ؛ حتى لا تكون هناك تفرقة في العدل بين مؤمن وغير مؤمن، فغير المؤمن مخلوق لله، استدعاه الله إلى هذا الوجود، والله قد أعد له مكانه في هذا العالم؛ لذلك لا بد أن تراعي العدل معه في كل الأمور ولا تظلمه بل تعطيه حقه؛ لأنك بذلك تكون مددًا من إمدادات الله، وقد كان هذا السلوك العادل الذي أمر به الله سببًا في دخول عدد كبير في الإسلام. (١)

٥٨- وجه تسمية العلم بالرؤية في قوله "بما أراك الله" الدلالة على قوة ظهوره ووضوحه

قال النيسابورى: (وسمى ذلك العلم بالرؤية لأن العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور، وكان عمر يقول: لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه والرأي منا ظن وتكلف) (٢)

(١) تفسير الشيخ الشعراوى١٢٠٥.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان:٢/٤٩١.

٥٩- الحذف في قوله "أراك الله" وفي قوله "خصيما" فيهما حذف المفعولين والعلة هنا قصد الإيجاز، أما الأول فقد قال عنه الطاهر: (وقد حذف المفعول الثاني لأنه ضمير الموصول، فأغنى عنه الموصول، وهو حذف كثير، والتقدير: بما أراكه الله) (١)

وأما الثاني فقد حذف مفعول (خصيما) لدلالة ذكر ما قبله عليه والمعنى (ولا تكن تخاصم من يخاصم الخائنين)(٢)

٦٠- خطاب العين ويراد به غيره كما في قوله -تعالى- "ولا تكن للخائنين خصيما" (فإنهﷺ محروس بالعصمة أن يخاصم عن المبطلين) (٣)

والدليل على أن المراد غيرهﷺ من الذين كانوا يفعلونه من المسلمين من وجهين:

(الأول: أنه -تعالى- أوضح ذلك بما ذكره بعد بقوله: "ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا"

الثاني:أن النبيﷺ كان حكما قيما بينهم، ولذلك كان يعتذر إليه ولا يعتذر هو إلى غيره فدل على أن القصد لغيره)(٤)

والسر في توجيه الخطاب إليه وإرادة غيره المبالغة في تحذير من تسول له نفسه أن يجادل عن الظلمة كما قال البقاعى: (والمراد تحذير الذين دفعتهم الحمية إلى الانتصار لأبناء أبيرق) (٥)

---

(١) التحرير والتنوير:٤/٢٤٧.

(٢) التحرير والتنوير:٤/٢٤٨.

(٣) إعراب القرآن لابن سيده٣/٣٢٥.

(٤) التفسير الوسيط د: محمد سيد طنطاوى١/١٠٦٣.

(٥) التحرير والتنوير:٤/٤٢٨.

٦١- علة الجمع في قوله "ولا تكن للخائنين" وكذا في قوله "يختانون" في الآية التي بعد هذه، مع أن الفاعل واحد

قال صاحب الكشاف: الجواب عن ذلك من وجهين:

الأول: أن بنى ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الإثم.

الثاني: أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه)[١]

الآية السابعة: {وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [٢]

٦٢- خطاب العين والمراد به غيره: حيث إن الأمر لغير النبيﷺ قال الطاهر ابن عاشور: (والأمر باستغفار الله جرى على أسلوب توجيه الخطاب إلى الرسولﷺ فالمراد بالأمر غيره، أرشدهم إلى ما هو أنفع لهم وهو استغفار الله مما اقترفوه.

أو أراد: استغفر الله للخائنين ليلهمهم إلى التوبة ببركة استغفارك لهم وليس المراد أن النبيﷺ خطر بباله ما أوجب أمره بالاستغفار، وهو همه أن يجادل عن بنى أبيرق، مع علمه بأنهم سرقوا، خشية أن يفتضحوا)[٣]

وأما وقع من النبي من دفاعه عن بنى أبيرق في أول الأمر فلا يعد ذنبًا (لأن النبي ﷺ إنما دافع عن الظاهر وهو يعتقد براءتهم) [٤]

(١) الكشاف:١/٥٩٦.
(٢) سورة النساء:١٠٦.
(٣) التحرير والتنوير:٤/٢٤٨-٢٤٩.
(٤) المحرر الوجيز:٢/١٣٠.

٦٣- وضع الظاهر موضع المضمر في قوله "إن الله كان غفورًا رحيما" لظهور أمارات مغفرته ورحمته ظهورًا لا ينكر، كما أنه يجب على المسلم أن يستحضر جلال الله دائما ويراقبه ولا يغرنه كثرة مغفرته ورحمته.

٦٤- شبه كمال الانقطاع في قوله: "إن الله كان غفورًا رحيما" إذ الجملة الثانية تعليل للأولى.

٦٥- الخبر الطلبي في قوله: "إن الله كان غفورًا رحيما" للتأكيد على كثرة غفرانه ورحمته وجاءت هذه الجملة مؤكدة بـ(إن) وكان المفيدة للدوام والاستمرار والتعبير بصيغة المبالغة كل ذلك (مبالغة في المغفرة والرحمة لمن استغفر له) (١)

٦٦- تنوع الأسلوب وهذا واضح في وقوع هذا الأمر وهو قوله:

"واستغفر الله" بين نهيين الأول في قوله -تعالى-: "ولا تكن للخائنين خصيما" وقوله -تعالى-: "ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم" هذا التنوع القصد منه التأكيد على أهمية الاستغفار من ناحية ولتقبل الأذهان إلى روعة وبلاغة هذا الكتاب الحكيم من ناحية أخرى.

الآية الثامنة: {وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا} (٢)

(المخاطب كلّ من يصلح للمخاطبة من المسلمين . والكلام جار مجرى الفرض والتقدير، أو مجرى التعريض ببعض بني ظُفَر الذين جادلوا عن بني أبيرق .) (٣)

المقصود في الآية: (رهط بن أبيرق السارق، قال السهيلي: هم بِشر وبشير ومُبشر وأُسَير)(٤)

(١) روح المعاني:٥/١٤١.
(٢) سورة النساء:١٠٧.
(٣) التحرير والتنوير:٤/١٠٦.
(٤) البحر المديد:٢/١٣٧.

٦٧- نظم الآية مع سابقتها:

(لما نهى الله نبيه عن الخصام لمطلق الخائن، وهو من وقعت منه خيانة ما؛ أتبعه النهي عن المجادلة عمن تعمد الخيانة فقال "ولا تجادل" أي في وقت ما "عن الذين يختانون" أي يتجدد منهم تعمد أن يخونوا أنفسهم بأن يوقعوها في الهلكة بالعصيان فيما اؤتمنوا عليه من الأمور الخفية) [١]

٦٨- بلاغة التعبير بالجمع في قوله "الذين يختانون" مع أن الآية نزلت في واحد والسر في ذلك إفادة التهديد والوعيد لكل من يحدث نفسه بمثل هذا ويدخل فيه من يعينه على ذلك قال البقاعى: (والتعبير بالجمع – مع أن الذي نزلت فيه الآية واحد – للتعميم وتهديد من أعانه من قومه)[٢]

٦٩- التعبير بصيغة الافتعال في قوله "يختانون" للدلالة على وقوعها مكررة بكلفة وقصد ومن ثم أشار بعض المفسرين إلى ذلك فقال: (لقصد وصفهم بالمبالغة في الخيانة لأن مادة الافتعال تدل على التكلف والمحاولة)[٣]

٧٠- بلاغة التعبير بأسلوب النهى الإنشائي[٤] في قوله "ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم" وبلاغته هنا التوجيه والإرشاد، ولا تستقيم حياة المجتمع إلا إذا أخذ قانونه من خالقه.

٧١- خطاب العين والمراد به غيره في قوله: "ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم"

---

(١) نظم الدرر:٣١٣/٢.

(٢) نظم الدرر:٣١٣/٢.

(٣) التفسير الوسيط د: محمد سيد طنطاوى١٠٦٤/١.

(٤) النهى: طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة وهى: المضارع مع (لا) الناهية. البلاغة فنونها وأفنانها د: فضل حسن عباس صـ:١٥٤.

قال الطاهر ابن عاشور:(والخطاب في قوله (ولا تجادل) للرسولﷺ والمراد نهى الأمة عن ذلك، لأن مثله لا يترقب صدوره من الرسولﷺ كما دل عليه قوله -تعالى-: "ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا"[١] (والنهى عن الشيء لا يقتضى كون المنهي مرتكبًا للمنهي عنه.

وقد يقال: إن ذلك من قبيل "لئن أشركت ليحبطن عملك"[٢] ومن هنا قيل: المعنى لا تجادل أيها الإنسان) [٣]

والسر في مجيء هذا الأسلوب على هذا النحو (التهديدٌ الشَدِيدٌ على من تسول له نفسه إعانَة الظَّالِم؛ لأن الله - -تعالى- - عاتب النَّبيَّﷺ على همِّه بإعَانَة طعمة، مع أنَّه لم يَكُن عَالِما بظُلْمِهِ، فكيف حَالُ من يَعْلم ظلم الظَّالِم، ويعينُه عَلَيْه) [٤]

٧٢- السر البلاغي في جعل الخيانة للغير خيانة للنفس في قوله "يختانون أنفسهم" مع أن الواقع أنهم يخونون غيرهم (أضيفت الخيانة للنفس، لأن الذين يصنعون ذلك إنما يحدثون في الأمة ذعرًا عاما، يعود ضرره على الجماعة، ويعود عليهم أنفسهم، إذ يعيشون في جماعة قد فسد أمرها، وارتابت في شؤونها، وضل عن الناس معرفة الحق، وغاب عنهم لبه، وكذلك لأن الخيانة مغبتها على أنفسهم شديدة أمام الله -تعالى- وسيحاسبهم عليها من لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولأن هؤلاء الخائنين الذين يتحرون الخيانة، إنما يخلون فطرهم عن الفطرة

(١) التحرير والتنوير:٢٤٨/٤.
(٢) سورة الزمر:٦٥.
(٣) روح المعاني:١٤١/٥.
(٤) اللباب في علوم الكتاب:٧/٧.

السليمة التي فطرهم الله عليها، فيصيب الفساد نفوسهم، وتنحل كل العرى فيها وتكون في بلبال مستمر) (١)

٧٣- شبه كمال اتصال في قوله: "إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما" وذلك لأن الجملة الثانية هنا تقع من الأولى موقع الجواب من السؤال.

وهنا جاء الخبر مؤكدًا تأكيدًا طلبيا لبيان قبح العمل في ذاته٠

٧٤- السر البلاغى في التعبير عن البغض والسخط بعدم الحب في قوله "لا يحب" ولعل ذلك تنزيه للحق سبحانه -وتعالى- عن صفات البشر من ناحية ومن ناحية أخرى أنه سبحانه ليس مضطرًا إلى هذه الكراهية ولعل هذا التعبير يكون داعيا لهؤلاء الذين أشير إليهم بعدم الحب للبحث في أسبابه حتى يتخلوا عنها ليعرضوا أنفسهم لمحبة الخالق جل وعلا والمتتبع لآيات القرآن يجد أنه لم يأت في آياته أن الله يكره أحدًا قط إلا ما ورد في قوله { وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ} (٢) وقد سُلط الكره على الصفة لا على الأشخاص.

٧٥- علة تقديم صفة الخيانة على المآثم، وذلك لأن الخيانة سبب للإثم خان فأثم(٣)

٧٦- بلاغة التعبير بالفعل الماضي في قوله: "لا يحب من كان خوانا أثيما" دون قوله مثلا الخوان الأثيم، والسر في هذا الدلالة على أن باب التوبة مفتوح أمام الجميع وأنه ينبغي أن تكون هذه الصفات من باب الماضي الذي حدث منهم في أيام غفلتهم وأنهم الآن قد تابوا وأنابوا إلى ربهم٠

---

(١) زهرة التفاسير:١٨٤٢/٤.

(٢) سورة التوبة من :٤٦.

(٣) البحر المحيط:٢٨٠/٣.

٧٧- سر التعبير بصيغتي المبالغة في قوله "خوانا أثيما"

(أتى بصيغة المبالغة في الخيانة والإثم ليخرج من وقع منه المرة، ومن صدرت منه الخيانة على سبيل الغفلة وعدم القصد.

وفي صفتي المبالغة دليل على إفراط طعمة في الخيانة وارتكاب المآثم وقيل: إذا عثرت من رجل سيئة فاعلم أن لها أخوات.

وعن عمر أنه أمر بقطع يد سارق، فجاءت أمه تبكي وقالت: هذه أول سرقة

سرقها فاعف عنه فقال: كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة[١]

الآية التاسعة

{يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا} [٢]

٧٨- البيان بعد الإبهام في قوله "يستخفون من الناس" حيث إنها أظهرت ما أبهم في قوله "يختانون" وهذه الصورة من مسائل وجوب الفصل وهى: أن تكون الجملة الثانية بيانا للأولى، وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح والمقتضى للتبيين، أن يكون في الأولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته)[٣]

٧٩- مناسبة اللفظ لمقام الحال في قوله "يستخفون" فالضمير عائد على العصاة ولم يعبر بالاسم الظاهر لتكون هناك مناسبة بين اللفظ وفعلهم (وفي ذلك توبيخ عظيم وتقريع، حيث يرتكبون المعاصي مستترين بها عن الناس أنْ يطلعوا عليها)[٤]

---

(١) البحر المحيط:٣/٣٨٠.

(٢)) سورة النساء:١٠٨.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب٣/١٢٠.

(٤) البحر المحيط:٣/٢٨٠.

٨٠- الإطناب بالتذييل وهو من النوع المحمود في قوله "وهو معهم" لبيان عظم جرمهم (والمراد أنه -تعالى- معهم على الوجه اللائق بذاته -سبحانه- وأنه عالم بهم وبأحوالهم فلا طريق إلى الاستخفاء منه -تعالى- سوى ترك ما يؤاخذ عليه) (١)

٨١- التذييل في قوله "وكان الله بما يعملون محيطا"

(وهذا التذييل قصد به التهديد والوعيد أي وكان الله -تعالى- محيطًا إحاطة تامة بما يعمله هؤلاء الخائنون وغيرهم ولا يغيب عن علمه شيء من تصرفاتهم، وسيحاسبهم عليها يوم القيامة)(٢)

الآية العاشرة:

{هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا } (٣)

٨٢- مناسبة الآية لما قبلها:

(لما وبخهم سبحانه وتعالى على جهلهم، حذر من مناصرتهم فقال مبيناً إنها لا تجديهم شيئًا، مخوفًا لهم جدًا بالمواجهة بمثل هذا التنبيه والخطاب ثم الإشارة بعد "هاأنتم هؤلاء" (٤)

٨٣-من أسرار التعبير في الآية أنه عبر بالحياة الدنيا في قوله (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) ولم يقل في الدنيا لبيان أن ما جادلوا فيه أمر وضيع دنيء، فهناك فرق بين الدنيا والحياة الدنيا فالدنيا محمودة لدنوها من الآخرة وبها تستدرك، والسعادة في الآخرة

(١) روح المعاني:٥/١٤١.
(٢) التفسير الوسيط د: محمد سيد طنطاوى١/١٠٦٥.
(٣) سورة النساء:١٠٩.
(٤) نظم الدرر:٢/٣١٤.

متوقفة على النجاح في الدنيا، والحياة الدنيا مذمومة لأنها حياة دنيئة وضيعة.(١)

٨٤- وضع الضمير موضع الظاهر في قوله -تعالى-: "جادلتم عنهم في الحياة الدنيا" والسر في وضع ضمير الغائب موضع الاسم الظاهر استحقار فعلتهم.

ولذلك قال الطاهر ابن عاشور: (هذا الكلام جار مجرى التعريض ببعض بنى ظفر الذين جادلوا عن بنى أبيرق)(٢)

٨٥- من مستتبعات التراكيب (خروج الاستفهام عن مجرد طلب الفهم إلى معنى آخر)(٣) وذلك في قوله: "فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة" وفي قوله: "أم من يكون عليهم وكيلا"

---

(١) الذي يؤكد ما ذهبت إليه تعبير القرآن غالبًا عن الدنيا بأنها محمودة وعن الحياة الدنيا أنها مذمومة ومن ذلك قوله "ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" البقرة:٢٠١.

ب "فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة" آل عمران: ١٤٨.

ج "من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة" النساء: ١٣٤.

د- "والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة" النحل:٤١.

هـ- "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك" القصص:٧٧.

ومن الآيات التي تشير إلى ذم الحياة الدنيا:

أ- "مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر" آل عمران:١١٧.

ب- "ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة" النساء:٩٤.

ج- "فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل" التوبة ٣٨.

د- "واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا" الكهف٤٥.

هـ- "وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون" العنكبوت:٦٤.

(٢) التحرير والتنوير:٢٤٩/٤.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزوينى٦٥/٣تح د: محمد عبدالمنعم خفاجى ط:دار الجيل بيروت ط: الثالثة.

قال أبو حيان: (ومعنى هذا الاستفهام النفي أي: لا أحد يجادل عنهم يوم القيامة إذا حل بهم عذابه)(١)

والاستفهام في قوله "أم من يكون عليهم وكيلا"معناه النفي أيضا، كأنه قال: لا أحد يكون وكيلا عليهم فيدافع عنهم ويحفظهم)(٢)

والذي يقوى ما ذهب إليه العلماء في خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر: أن الاستفهام في أصل معناه طلب معرفة شيء لم يكن معلوما لدى السائل وقت السؤال وهذا المعنى محال في حق الله – تعالى– فتعين القول بخروج السؤال عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر والله أعلم.

الآية الحادية عشرة:

{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا } (٣)

٨٦–هذه الآية قائمة على أسلوب الشرط ويلمح منه التحذير من عمل السوء كأنه قال: احذر عمل السوء فعاقبته وخيمة، ومثل هذا الأسلوب يدعو للانتباه وأخذ الحيطة والحذر، ويستقر في الأذهان وقعه.

٨٧– مناسبة الآية لما قبلها:

(لما نهى عن نصرة الخائن وحذر منها، ندب إلى التوبة من كل سوء فقال – عاطفًا على ما تقديره: فمن يصر على مثل هذه المجادلة يجد الله عليما حكيما –: "ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيما"(٤)

---

(١) تفسير البحر المحيط:٣/٢٨١.

(٢) تفسير البحر المحيط:٣/٢٨١.

(٣) سورة النساء:١١٠.

(٤) نظم الدرر:٢/٣١٥.

٨٨- العموم المستفاد من المسند إليه (مَن) في قولـــه: (ومـــن يعمـــل سوءا)

٨٩- بلاغة التعبير في قوله:(ومن يعمل) دون (ومن يفعل)

آثر التعبير بالفعل يعمل لأن العمل إيجاد الأثر في الشيء ولذلك جاء في معنى

قوله: (يعمل سوءا: أى قبيحًا يسوء به غيره) (١)

أما الفعل فهو عبارة عما وجد في حال كان قبلها مقدورًا سواء كان عن سبب أو لا)(٢)

(وإنما خص ما يتعدى إلى الغير باسم السوء لأن إيصال الضرر إلى الغير سوء حاضر بخلاف الذي يعود وباله إلى فاعله فإن ذلك في الأكثـــر لا يكون ضررًا عاجلاً، لأن الإنسان لا يوصل الضرر إلى نفسه)(٣)

٩٠- التراخي المستفاد من العطف بـــ(ثم) في قوله "ثم يســـتغفر الله" للدلالة على سعة رحمته ومغفرته وأنه متى تاب العبد إليـــه قبلـــه، وللإشارة إلى البون الشاسع بين المعصية والاستغفار.

وفي هذا المعنى قال الشيخ أبو زهرة: (والتعبير بـــ (ثم) في قولـــه (ثم يستغفر الله) للإشارة إلى تفاوت ما بين المعصية والاستغفار، فالتراخي الذي دلت عليه (ثم)تفاوت معنوي، وليس بتراخ زمني، لأن مـــن يعمـــل السوء أو يظلم نفسه من غير أن يحيط بالنفس توبته قريبة)(٤)

٩١- وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: "ثم يستغفر الله يجـــد الله غفورًا رحيما" لظهوره برحمته ومغفرته فناسب اللفظ الحال.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان:٢/٤٩٣.

(٢) معجم الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى١/٢٥٨-٤٠٨.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان:٢/٤٩٣.

(٤) زهرة التفاسير:٣/١٨٤٩

قال أبو السعود: (لما أن مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة) [١]

وأيضًا أرى أن الإظهار مناسب في اللفظ لقوله (يجد) والله أعلم.

٩٢-بلاغة التذييل في قوله (غفورًا رحيما) وهذا التذييل يفيد أمرين:

الأول: المبالغة.

الثاني: العموم.

قال الطاهر ابن عاشور: (ومعنى غفورًا رحيما: شديد الغفران وشديد الرحمة وذلك كناية عن العموم والتعجيل، فيصير المعنى يجد الله غافرًا راحما له، لأنه عام المغفرة والرحمة فلا يخرج منها أحد استغفره وتاب إليه، ولا يتخلف عنه شمول مغفرته ورحمته زمنا، فكانت صيغة (غفورًا رحيما) مع (يجد) دالة على القبول من كل تائب بفضل الله[٢])

الآية الثانية عشرة:

{وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [٣]

٩٣-مناسبة الآية لما قبلها:

(لما ندب إلى التوبة ورغب فيها، بين أن ضرر إثمه لا يتعدى نفسه، حثًا على التوبة وتهييجًا إليها لما جبل عليه كل أحد من محبة نفع نفسه ودفع الضر عنها فقال:

"ومن يكسب إثما" أي إثم كان "فإنما يكسبه على نفسه" [٤]

(١) إرشاد العقل السليم:٢/٢٣٠.

(٢) التحرير والتنوير:٤/٢٥٠.

(٣) سورة النساء:١١١.

(٤) نظم الدر:٢/٣١٥.

٩٤-عمومية المسند إليه في قوله -تعالى-: "ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه"

ويفهم هذا من قول ابن الجوزى: (قوله -تعالى- ومن يكسب إثما أي ومن يعمل ذنبًا فإنما يكسبه على نفسه يقول إنما يعود وباله عليه قاله مقاتل وهذه في طعمة أيضا) (١)

٩٥-القصر في قوله "فإنما يكسبه على نفسه" حيث قصر صفة كسب الإثم على صاحبه بأبلغ طرق القصر (والمعنى: أنّ وبال ذلك لاحق له لا يتعدّاه إلى غيره.) (٢)

٩٦-بلاغة التعبير بحرف الجر (على) دون اللام كناية عن استعلاء الإثم عليه واستيلائه وقهره له(٣)

٩٧- بلاغة التذييل في قوله "عليما حكيما"

(هذا التذييل قصد به التهديد والتحذير من سوء عاقبة اكتساب الآثام)(٤)

(وختمها بصفة العلم، لأنه يعلم جميع ما يكسب، لا يغيب عنه شيء من ذلك. ثم بصفة الحكمة لأنه واضع الأشياء مواضعها فيجازي على ذلك الإثم بما تقتضيه حكمته) (٥)

الآية الثالثة عشرة:

{وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا } (٦)

---

(١) زاد المسير:٢/١٩٤.
(٢) البحر المحيط:٣/٣٦١.
(٣) البحر المحيط:٣/٣٦١.
(٤) تفسير الوسيط د: محمد سيد طنطاوى١/١٠٦٦.
(٥) البحر المحيط:٣/٣٦١.
(٦) سورة النساء ١١٢.

٩٨-مناسبة الآية لما قبلها:

(لما ذكر ما يخص الإنسان من إثمه أتبعه ما يعديه إلى غيره فقال: " ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئًا فقد احتمل بهتانا"[١]

٩٩- العمومية في المسند إليه في قوله: "ومن يكسب خطيئة أو إثما"

وهذا العموم للدلالة على أنه سبحانه لا يعزب عنه شيء وأن كل نفس بما كسبت رهينة وقد قال الله –تعالى–: "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنًا حاسبين"[٢]

قال القرطبي: وهذه الآية لفظها عام يندرج تحته أهل النازلة وغيرهم) [٣]

كذلك العموم المستفاد من النص على الخطيئة والإثم وعند التحقيق أنهما ليسا شيئًا واحدًا وإنما هما أمران مختلفان إذ هناك (فرق بين"الخطيئة" و"الإثم"، لأن"الخطيئة"، قد تكون من قبيل العَمْد وغير العمد، و"الإثم" لا يكون إلا من العَمْد، ففصل جل ثناؤه لذلك بينهما فقال: ومن يأت"خطيئة" على غير عمد منه لها"أو إثما" على عمد منه) [٤]

١٠٠- أسلوب الشرط في مطلع الآية وما يوحيه من إثارة المشاعر والتنبيه على أهمية ما يأتي بعده، وإفادة العموم .

١٠١- بلاغة العطف بـ(ثم) في قوله "ثم يرم به بريئا" والعطف بها يفيد الترتيب والتراخي والذي يفهم من هذا أن الرامي فكر ودبر لهذا الأمر ولم يقع منه دون قصد أو على وجه السرعة، ولذلك غلظت عقوبته لأنها عن عمد وفكر وإصرار.

---

(١) نظم الدرر:٢/٣١٦.

(٢) سورة الأنبياء:٤٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن:٥/٣٨١.

(٤) تفسير الطبرى٩/١٩٧.

ولذلك قال البقاعي: (لما كان البهتان شديدًا جدًا قلَّ من يجترئ عليه، أشار إليه بأداة التراخي) (١)

١٠٢- إيجاز بالحذف في قوله "يرم به بريئا" حيث حذف الموصوف وأبقى صفته والتقدير "إنسانا بريئا".

١٠٣-بلاغة العطف بالفاء في قوله "فقد احتمل" وهى واقعة في جواب الشرط وعبر بها مع حرف التحقيق بيانا لتلاحم الاحتمال عقب وقوع الإثم.

(ويلاحظ في الفرق بين التعبير في الآية السابقة وهذه الآية أمران:

أولهما: أنه عبر في الأولى عن مرتكب الشر بـ(يعمل) وقد سبق الإشارة إلى هذا وفي هذه الآية عبر بـ(يكسب) للإشارة إلى تدنس النفس بالشر، واسوداد القلب به، حتى اربد، وأصبح لا نور فيه.

ثانيهما: أنه لم يعبر عن الشر الذي وقع في الأولى بالإثم، بل عبر بالسوء أو الظلم للنفس، وهنا عبر بالإثم المبطئ المبعد عن الله -تعالى- ،لأن الشخص في الحال السابقة قريب من الخير بالتوبة القريبة، أما هنا فحاله حال من تبطؤ توبته) (٢)

الآية الرابعة عشرة:

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} (٣)

(١) نظم الدرر:٣١٦/٢.

(٢) زهرة التفاسير:١٨٥٠/٤.

(٣) سورة النساء:١١٣.

١٠٤- مناسبة الآية لما قبلها:

(لما وعظ سبحانه -وتعالى- في هذه النازلة وحذر ونهى وأمر ، بين نعمته على نبيهﷺ في عصمته عما أرادوه من مجادلته عن الخائن بقوله -تعالى-: "ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك" (١)

١٠٥-بلاغة التعبير بأسلوب الشرط"لولا" إذ هي حرف امتناع لوجود فامتنع الضرر لوجود فضل الله على الرسولﷺ

وفيه إشارة إلى ملازمة فضل الله -تعالى- لرسولهﷺ قال الرازى: (ولولا أن الله خصك بالفضل وهو النبوّة، وبالرحمة وهي العصمة لهمت طائفة منهم أن يضلوك، وذلك لأن قوم طعمة كانوا قد عرفوا أنه سارق ، ثم سألوا النبيﷺ أن يدافع ويجادل عنه ويبرئه عن السرقة) (٢)

١٠٦-سر اختيار حرف الجر "على" دون اللام في قوله: "ولولا فضل الله عليك" للإشارة إلى أن هذا الفضل من عند الله -تعالى- وأنه شمله كله، وفي هذا يقول البقاعي: "ولولا فضل الله"أي الملك الأعلى عليك) (٣)

وقال ابن كثير: امتن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال، وعصمته له) (٤)

١٠٧- أسلوب القصر في قوله "وما يضرون إلا أنفسهم" وطريقه النفي والاستثناء للدلالة على أن إرادة الضرر منهم لا تتحق للنبيﷺ بل هي ملازمة لهم لا تتعداهم

---

(١) نظم الدرر:٢/٣١٦.
(٢) التفسير الكبير:١١/٢١٦.
(٣) نظم الدرر:٢/٣١٦.
(٤) تفسير القرآن العظيم:١/٦٨٤.

وفي هذا يقول العلماء:

(وبال ما أقدموا عليه من التعاون على الإثم والبهت، وشهادة الزور، إنما هو يخصهم)[1]

١٠٨-الإطناب في قوله: "وما يضرونك من شيء" بعد قوله "وما يضلون إلا أنفسهم" لتثبيت قلبهﷺ والتأكيد على سلامته من كيدهم ومكرهم، ولبيان مزيد المحبة لهﷺ بإطالة الحديث معه.

١٠٩- بلاغة التعبير بـ(من) الزائدة في قوله "وما يضرونك من شيء"﴾ للدلالة على عمومية نفي الضرر عنهﷺ قال النيسابوري: (وعد بإدامة العصمة له مما يريدون في الاستقبال من إيقاعه في الباطل)[2]

وقال أبو حيان: (مِن تدل على العموم نصًا أي: لا يضرونك قليلا ولا كثيراً)[3]

وقال الآلوسي: (وإنما نفي همهم مع أن المنفي إنما هو تأثيره فقط إيذانا بانتفاء تأثيره بالكلية. وقيل المراد الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة)[4]

فإن قيل كيف قال ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة وقد همت بإضلاله؟

فالجواب: أنه لولا فضل الله عليك ورحمته لظهر تأثير ما هموا به)[5]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب:٧/١٤. والبحر المحيط:٣/٢٨٢.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان:٢/٤٩٤.

(٣) تفسير البحر المحيط:٣/٢٨٢.

(٤) روح المعاني:٥/١٣٤.

(٥) زاد المسير:٢/١٩٧.

المبحث الثاني

التصوير البياني في ربع {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً.....} إلى نهايته:

علم البيان: (علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه)(١)

وأبواب علم البيان ثلاثة: التشبيه والمجاز والكناية

وسأعرض ما جاء في هذا الربع من الصور البيانية على حسب مسائل علم البيان:

أولا-التشبيه: وهو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه. وقيل أن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به.

وقيل الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد كالطيب في المسك والضياء في الشمس والنور في القمر وهو حكم إضافي لا يرد إلا بين الشيئين بخلاف الاستعارة(٢).

وما جاء من تشبيه في هذا الربع في قوله

١-: "إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون"

والمَعْنَى: أنَّ حصُول الألمِ قدر مُشْتَرَكٌ بينكم وبَيْنَهُم، فلما لم يَكُن خوف الألَمِ مانِعَا لَهُم عن قَتَالِكُم، فكيف يَصير مَانِعًا لكم عن قِتَالِهِم(٣)

والغرض من هذا التشبيه نزع الوهن من قلوب المؤمنين ببيان ضعف عدوهم، ودفعهم للإقبال على القتال لا سيما وأنهم صحيحوا المعتقد وغايتهم سامية.

(١) بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي٣/٣-٤.

(٢)البرهان: صـ:٨٨١.

(٣) اللباب في علوم الكتاب:٦/٦١٥.

ثانيا–الاستعارة المكنية: وهي التي اختفي فيها لفظ المشبه به واكتفي بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه. (١)

٢--في قوله: "ثم يدركه الموت"

قال الطاهر ابن عاشور:(الاستعارة في "يدركه" استعار الإدراك الذي هو صفة من فيه حياة لحلول الموت)(٢)

وأقول: شبه الموت بالأسد الذي يجرى وراء إنسان يريد إدراكه ثم حذف المشبه به وهو السبع ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإدراك.

٣- في الفعل "يفتنكم" في قوله: "إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا" (حيث سمي القتل فتنة لأن فيه معنى الاختبار كما قال: "على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم"(٣) ولبيان أن المؤمنين لا يخافون من القتل بل يقبلون عليه ويحرصون عليه لأنه في الله.

ثالثا الاستعارة التبعية: وهي أن لا يكون معنى التشبيه داخلا دخولا أوليا(٤)

ومنها ما جاء:

٤–في الفعل وقع في قوله "فقد وقع أجره على الله"

(وقد استعار الوقوع الذي هو من صفات الأجرام لثبوت الأجر)(٥)

ووقع هنا بمعنى وجب، ولم يعبر بالوجوب لأن الله لا يجب عليه شيء.

---

(١)معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب١/١٤٥.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور٤/٢٣٧.

(٣) بحر العلوم:١/٣٥٨.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب١/١٤٨.

(٥) التحرير والتنوير:٤/٢٣٧.

٥- في قوله: "وإذا ضربتم في الأرض" (استعار الضرب للسعي في قتال الأعداء) (١) **ولعل السر في استعارة الضرب للسير لبيان المشقة التي تكون في هذا السير من أجل القتال.**

٦- في الفعل فيميلون في قوله: "فيميلون عليكم ميلة واحدة" استعار الميل للانقضاض عليهم وأكده بكلمة واحدة للدلالة على ترابط المشركين من أجل التخلص من المؤمنين.

٧- في قوله -تعالى-: "فأقيموا الصلاة" استعار القيام للأداء تشبيها للأداء بالقيام على سبيل الاستعارة التبعية.

والسر في اختيار لفظ القيام دون الأداء لأن الأداء يصدق على الجانب الشكلي الذي يكون خاليا من الروح ومن الأثر الذي يصحب المؤدي بعد الأداء، ولفظ القيام يشير إلى أن إقامة الصلاة من أقوى أسباب قيام الحياة واستقامتها على النحو الذي يرضى الله -تعالى- ،ولذلك قال البقاعي: (المراد افعلوها قائمة المعالم كلها)(٢) ومن معالمها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

٨- في قوله "بما أراك الله" والاستعارة هنا استعارة محسوس لمعقول حيث استعار الإراءة للمعرفة والعلم.

والسر في ذلك أن العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور، وهذا النوع من العلم هو الثابت لسيدنا محمد ﷺ (٣) وهذا من باب الكنايات.

---

(١) إعراب القرآن لابن سيده٣/٣٢١.

(٢) نظم الدرر:٢/٣١٠.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان:٢/٤٩١.

٩- في قوله: "يجد الله غفورًا" حيث عبر بالوجود لبيان تحقق قرب الله من عباده. لأن فعل (وجد) حقيقته: الظفر بالشيء ومشاهدته فأطلق على تحقيق العفو والمغفرة على جهة الاستعارة(١)

١٠-الاستعارة في الحرف (على) في قوله: "فإنما يكسبه على نفسه"

حيث شبه استعلاء الإثم على صاحبه وتمكنه منه بالشيء يستعلى على غيره، كالراكب على فرسه تمكناً منه.

وفي هذا يقول أبو حيان: (وفي لفظة: على ،دلالة استعلاء الإثم عليه، واستيلائه وقهره له) (٢)

١١-الاستعارة في قوله:"ثم يرم به بريئا" حيث نزل الشيء المعنوي منزلة الحسي. قال ابن الجوزى: "يرم به بريئًا" أي يقذف بما جناه بريئًا منه) (٣)

وفي هذا إشارة إلى عظم وقع هذا الجرم على نفس البريء الذي اتهم ظلما وزورًا من ناحية ومن ناحية أخرى للدلالة على عظم الجرم الذي ارتكبه الرامي.

رابعا- المجاز المرسل هو المجاز الإفرادي وهو أحد أنواع المجاز اللغوي(٤)

١٢- فى قوله تعالى: "ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله" في عطف الرسول ﷺ على لفظ الجلالة مجاز مرسل علاقته الحالية بتشديد اللام حيث عبر بالحال وأراد المحل وهى المدينة وهذا العطف يبرز خصوصية الهجرة إلى المدينة المنورة .

---

(١) التحرير والتنوير:٤/٢٥٠.

(٢) البحر المحيط:٣/٢٨١.

(٣) زاد المسير:٢/١٩٥.

(٤)معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب٣/٢١٨.

١٣-في قوله: "فأقمت لهم الصلاة" وعلاقته السببية كما في قوله: "يا هامان ابن لي صرحا"[١] وهامان لا يبنى الصرح وإنما هو سبب في بنائه لأنه الآمر به.

وهنا الواقع أن المؤذن يؤذن بالصلاة ويقيم لها، وإنما نسب إقامة الصلاة له ﷺ لأنه المعلم لهم إياها، ومن ثم نسبت الإقامة إليه.

خامسا-المجاز العقلي وهو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأول [٢]

١٤-وقد ورد في قوله "إذ يبيتون ما لا يرضى من القول" حيث عبر عن الفعل بالقول إذ الأصل "إذ يبيتون مالا يرضى من الفعل"بدليل قوله: "وكان الله بما يعملون محيطا"

والسر في ذلك أنه عبر بما يناسب ظاهرهم، وسمة المنافق دائما القول الظاهر الذي لا يتفق مع ما في قلبه، وأيضًا فيه إظهار لما كانوا يدبرونه للرسول ^ في الليل من المكر والكيد له.

(وتسمية التدبير وهو معنى في النفس قولا ليس فيها إشكال عند القائلين بالكلام النفسي، وأما عند غيرهم فمجاز، أو لعلهم اجتمعوا في الليل ورتبوا كيفية المكر فسمى الله -تعالى- كلامهم ذلك بالقول المبيت الذي لا يرضاه الله، أو المراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بيته)[٣]

سادسا-الكناية: وهي أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وهي عند أبي عبيدة ما فهم من الكلام ومن السياق من غير أن يذكر اسمه صريحًا في العبارة فهي تستعمل قريبة من المعنى البلاغي.[٤]

---

(١) سورة غافر من:٣٦.

(٢)الإيضاح فى علوم البلاغة ١/٣٠ .

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان:٢/٤٩٢.

(٤)معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب٣/١٥٤.

١٥-في قوله: "فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة" حيث كنى بالاطمئنان عن الإقامة

قال الآلوسى: (لما كان الضرب اضطرابًا وكنى به عن السفر ناسب أن يكنى بالاطمئنان عن الإقامة وأصله السكون والاستقرار إذا استقررتم من السير والسفر في أمصاركم)[١]

(فالاطمئنان مراد به القفول من الغزو، لأن في الرجوع إلى الأوطان سكوناً من قلاقل السفر واضطراب البدن، فإطلاق الاطمئنان عليه يشبه أن يكون حقيقة) [٢]

وفي هذا بشارة للمؤمنين أنه ستتحقق لهم الطمأنينة بالنصر والأمن في بيوتهم بعد الحرب مع الكافرين ويعضد هذا التعبير بأداة الشرط (إذا) التي تفيد تحقق الوقوع٠

(١) روح المعاني:٥/١٣٨.
(٢) التحرير والتنوير:٤/٢٤٤.

المبحث الثالث

المحسنات البديعية في قوله -تعالى{وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً.....} إلى نهاية الربع

علم البديع: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة.

والمحسنات البديعية تنقسم إلى قسمين معنوية ولفظية.(١)

(والقرآن الكريم مليء بألوان البديع التي يعرفها دارسوا البلاغة، وهذه الألوان لم تكن فضولا من القول، ولم تأت لمجرد الزينة، وإنما دعاها المعنى، دعاها دون غيرها من الألفاظ ، فإذا استقرت في مواضعها، كان للمعنى جلاء وبيانا، وللكلام فضلا وتأثيرا)(٢)

وقد جاء في هذا الربع من الصور البديعية ما يلي:

أولا- براعة الاستهلال:

البراعة هي التفوق، والاستهلال الافتتاح والابتداء وإنما سمى هذا النوع الاستهلال لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به، وكان الجاحظ قد نقل عن ابن المقفع قوله:(ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته) (٣)

١- في قوله -تعالى-: "ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرًا وسعة" من براعة الاستهلال ما لا يخفي حيث إن بداية الكلام تدل على الغرض من غير تصريح فربنا لم يقل (وهاجروا) وإنما رغب في ذلك بهذا الأسلوب اللطيف الذي لا إلزام فيه.

---

(١) بغية الإيضاح في تلخيص علوم المفتاح٤/٣-٠٤.

(٢) فن البديع د: عبد القادر حسين صـ:٧-١٢ط:دار غريب -القاهرة٢٠٠٩م.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب١/٣٨٨-٣٨٩.

٢- في قوله -تعالى-: "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله" ومطلع الآية يشير إلى أن إنزال الكتاب من عند الله، ومن ثم فالحكم لا يكون إلا لله، لا سيما وأن هذا الإنزال من حكيم عليم، فاقتضى أن يكون بنون العظمة والجمع.

(والحق حين يتكلم عن نفسه؛ يتكلم فيما يتعلق بالفعل بصفة التعظيم والجمع. مثال ذلك قوله: "إنا أنزلنا" وهذه "نون الجماعة " حيث يتطلب إنزال القرآن قوى متعددة لا تتوافر إلا لمن له الملك في كل الكون) [١]

٣- في قوله -تعالى-: "ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة"

حيث صدر الآية بهاء التنبيه إشارة إلى أن ما سيتلى عليهم أمر ذو بال، وعبر بهؤلاء دون أولاء زيادة في التنبيه إذ هو تنبيه بعد تنبيه وهو مبالغة في أهمية ما سيتلى عليهم.[٢]

ثانيا-جناس الاشتقاق

وجناس الاشتقاق (هو ما يتوافق فيه اللفظان في الحروف الأصلية مع الترتيب ،والاتفاق في أصل المعنى.

أو هو: ما جمع ركنيه أصل واحد في اللغة ثم اختلفا في حركاتهما وسكناتهما) [٣]

١- في قوله -تعالى-:"ومن يهاجر" مع قوله: "ومن يخرج من بيته مهاجرا"

وهذا المعنى متحقق في هاتين الكلمتين حيث اتفقتا في الحروف الأصلية الهاء والجيم والراء وقد أشار إلى الجناس الناقص هنا الطاهر ابن

(١) تفسير الشيخ الشعراوى صـ:٣٨٦.

(٢) أشار إلى قريب من هذا المعنى الفخر الرازى في تفسيره١١/٣٠.

(٣) فن الجناس د: على الجندى صـ:١١٤. ط:دار الفكر العربي.

عاشور في تفسيره[١] والسر هنا في التعبير بهذا النوع من الجناس للتأكيد على أهمية الهجرة في سبيل الله وأنها تمثل حالة التغير من السيء إلى الحسن ومن الحسن إلى الأحسن.

٢- التجنيس المغاير وهو: (أن تكون الكلمتان اسما وفعلا) [٢]

في قوله -تعالى-: "إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا"

وقد أشار ابن سيده إلى هذا النوع من الجناس في كتابه إعراب القرآن[٣] وعبر هنا بالفعل الماضي والاسم معًا حتى لا يظن السامع أنه يتحدث عن قوم كفروا في الزمن الماضي فحسب، بل هم لا يزالون كذلك على كفرهم، ولم يعبر بالمضارع لأن منهم من سيدخل في الإسلام ويترك الكفر.

٣-في قوله -تعالى- "فيميلون عليكم ميلة" هذا تجنيس مغاير جيء به لتأكيد تربص الكافرين بالمؤمنين وتمنى غفلتهم ليتخلصوا منهم، وعبر بالفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار وأكده باسم المرة

٤-في قوله "يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما" جناس مغاير[٤]

وفي التعبير بالمضارع دلالة على التجدد والاستمرار والتعبير بـ" خوانا" مبالغة فيمن أكثر من الخيانة ويدل على استمرارهم في قوله "يختانون"

وأضاف إليه (أثيما) زيادة في تقبيح هذه الصفة.

---

(١) التحرير والتنوير:٤/٢٣٧.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب٣/١٠٠.

(٣) إعراب القرآن لابن سيده٣/٣٢٥.

(٤) السابق:٣/٣٢٥.

٥-في قوله:(جادلتم -ويجادل) جناس مغاير أيضا[١]

والتعبير بالماضي فيه إشارة إلى أن جدالكم عنهم مصيره إلى الزوال، أما يوم القيامة فإنه يحتاج مجادلات كثيرة لكثرة آثامهم، ولذلك عبر في الثاني بالمضارع، ولكن هل يسمح للمجادلين يومئذ ؟ اللهم لا، وختام الآية يدل على هذا.

٦-في قوله: "يكسب ويكسبه" جناس أيضا[٢] والسر في ذلك الإشارة إلى عدل الله المطلق في حساب الخلق حيث عبر بكلمتين متساويتين للدلالة على منتهى العدالة والدقة "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا"[٣]

٧- في قوله -تعالى-: "إثما"، "وإثما" من قوله: "ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئًا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا" جناس كامل: وهو (أن لا يتفاوت المتجانسان في اللفظ.

أو أن يجيء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظًا مختلفتين معنى لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركتهما.

فإن كانتا من نوع واحد كاسمين سمى مماثلا كقوله -تعالى-: "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة"[٤]

وإن كانتا من نوعين كاسم وفعل سمى مستوفي مثل:

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا كيحي بن عبد الله) [٥]

وهذا الجناس الكامل الذي معنا في الآية نجد أن الإثم الأول يشير إلى الفعل والثاني يشير إلى جزاء الفعل.

---

(١) السابق:٣/٣٢٥.

(٢) إعراب القرآن لابن سيده٣/٣٢٥.

(٣) سورة الأنبياء:٤٧.

(٤) سورة الروم:٥٥.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب١/٦٤-٦٥.

٨- في قوله -تعالى-: "لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم" جناس مغاير وهذا الجناس جاء مغايرًا لمناسبة الحالة التي يصفها النص القرآني حيث إن الكافرين أرادوا إضلال النبي ﷺ فجاء الأمر على غير قصدهم بل ما جاوز ضلالهم أنفسهم.

٩-في قوله -تعالى-: "وعلمك ما لم تكن تعلم" جناس أشار إليه ابن سيده في إعراب القرآن(١)

هو تجنيس مغاير ليناسب وصف الحالة حيث كان النبي ﷺ على حالة قبل النبوة تغيرت بعدها وامتن الله عليه بالفضل والنعمة.

ثالثا- الطباق:(هو الجمع بين المعنى وضده، ومعناه: أن يأتلف في اللفظ ما يضاد المعنى وكان كل واحد منهما وافق الكلام فسمى طباقا) (٢)

وقد جاءت أربع صور من الطباق في هذا الربع وهى:

١- في قوله -تعالى-: "فاذكروا الله قياما وقعودا" هنا طباق في قوله "قياما وقعودا" وفائدة هذه الصورة إبراز أهمية الذكر، حيث أمر الله به على أحوال الإنسان الثلاثة، فالإنسان إما قائما أو قاعدًا أو على جنبه وقد أمرنا بالذكر ونحن على أي حال منها.

٢- في قوله -تعالى- "وترجون من الله ما لا يرجون" وهذا النوع من الطباق يسمى طباق السلب للجمع بين المثبت والمنفى (٣)

وهذه الصورة تبين ما عليه أهل الإيمان من الرجاء ونفيه عن هؤلاء الكفار.

---

(١) إعراب القرآن لابن سيده٣/٣٢٥.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب٢/٢٥٤.

(٣) وقد عرفه البلاغيون بأنه (الجمع بين فعلى مصدر واحد مثبت ومنفي) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب٢/٢٥٨.

٣-في قوله -تعالى-: "يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله" وهذا النوع أيضًا يسمى طباق السلب، وهذه الصورة جاءت هكذا للدلالة على تجدد الفعل منهم.

٤- في قوله -تعالى-: "جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة"

ففي قوله (الحياة الدنيا – يوم القيامة) طباق يصلح أن يكون طباقًا معنويا[١]

رابعا-المشاكلة وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرا) [٢]

وقد جاءت صورة واحدة من صور المشاكلة في قوله -تعالى-: "ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه"

والكسب الثاني بمعنى الجزاء وعبر هنا به من باب المشاكلة ولعل السر في ذلك هو التبكيت لهؤلاء الذين ارتكبوا هذه الجرائم ظنًا منهم أنها كسب لهم فبين أنها تقودهم إلى الهلاك بدلالة التعبير بحرف الجر (على)

خامسا-رد العجز على الصدر[٣] في قوله: "وكان فضل الله عليك عظيما" وذلك لأن الآية تحدثت في بدايتها عن فضل الله عليه فناسب أن يكون ختامها مظهرًا لعظيم فضل الحق على نبيه ﷺ [٤]

وأيضًا (والآية فيها ما فيها من التنويه بشأن الرسول ـ ﷺ ـ ومن مظاهر فضل الله عليه ورحمته به) [٥]

---

(١) وهو (مقابلة الشيء بضده في المعنى لا في اللفظ). معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب٢/٢٥٧.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب٣/٢٥٧.

(٣) هو ماعرفه البلاغيون بأنه (رد الكلام على صدره) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د: أحمد مطلوب٣/٢١.

(٤) التحرير والتنوير:٤/٢٥٢.

(٥) التفسير الوسيط د: محمد سيد طنطاوي١/١٠٦٩.

الخاتمة

نسأل الله حسنها في الدنيا والآخرة

وبعد هذه الرحلة التي أسأل الله بركتها لا أدعى أنني استوعبت كل المسائل فهذه غاية لا تدرك، لأن ما ظهر للعلماء من بلاغة القرآن هو قطرة بل أقل منها من محيط لا ساحل له لأن كمال هذا القرآن وبلاغته على قدر كمال قائله سبحانه و-تعالى- والله يقول: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا"(١) فأنى لمثلى أن يحيط بها.

وأهم ما خلصت إليه هذه الدراسة ما يلي:

أولا: قضية بلاغة القرآن وإعجازه من المسلمات التي لا يماري فيها أحد حتى المعاندين أنفسهم، والتاريخ مليء بشهاداتهم في هذا المجال.

قال العلامة السيوطي _رحمه الله تعالى _: (وقد كانوا يجدون له وقعًا في القلوب وقرعًا في النفوس يرهبهم ويحيرهم فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعًا من الاعتراف ولذلك قالوا: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة) (٢)

ولعل أقوال العلماء تكاد تكون متفقة على أن وجه إعجاز هذا القرآن ما فيه من بلاغة وفصاحة.

ثانيا: أن هذا الربع من سورة النساء مليء بالصور البلاغية في علومها الثلاثة المعاني والبيان والبديع.

والصور التي وقفت عليها من علم المعاني فيه (١٠٩) تسع ومائة صورة، ومن علم البيان (١٥) خمس عشرة صورة، ومن علم البديع (٥) خمس صور منه وهى:

١-براعة الاستهلال في ثلاثة مواضع.

---

(١) سورة الإسراء من :٨٥.

(٢) الإتقان:٤/٣١٢.

٢-الجناس في تسعة مواضع.

٣-الطباق في أربعة مواضع.

٤-المشاكلة في موضع واحد.

٥- رد العجز على الصدر في موضع واحد.

وعليه فقد بلغ عدد جميع الصور البلاغية في هذا الربع من أبواب البلاغة الثلاثة (١٤٢) ثنتان وأربعون ومائة صورة.

ومن ثم فإن القارئ لهذا الربع يجد أنه لا تخلو كلمة منه إلا وفيها صورة بلاغية يدركها من وفقه الله لها.

ثالثا: غلب أسلوب الشرط على آيات هذا الربع، ولما كان الحديث يدور حول الهجرة في سبيل الله والجهاد من أجل إعلاء كلمة الله والتجرد له، وهذا يتطلب مجاهدة عظيمة، وأسلوب الشرط من الأساليب التي تتفق مع طبيعة الإنسان من حيث تجديد النشاط ودفع الهمم نحو ما يراد منها، من ثم كثر أسلوب الشرط فيه.

هذه أهم القضايا التي تحدث عنها هذا الربع

وفي النهاية أضرع إلى خالق القوى والقدر أن يوفقني وعامة المسلمين إلى خير ما يحب، وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يعفو عن تقصيري، وهو لا شك كائن وحسبي صدق النية.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته في كل وقت وحين وسلم تسليما كثيرا.

أهم المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي ط:دار الحديث القاهرة٠

٢- أسباب النزول للواحدى ط:دار الحلبي مصر ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م٠

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ط:دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ-١٩٩٥م٠

٤- إعراب القرآن لابن سيده٠

٥- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبى البركات عبد الرحمن الأنبارى ط:دار الفكر دمشق٠

٦- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزوينى تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي ط: دار الجيل بيروت ط: الثالثة٠

٧- بحر العلوم لأبى الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى تحقيق د/ محمود مطرجى ط: دار الفكر.

٨- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي ط: دار الفكر٠

٩- البحر المديد لابن عجيبة الحسنى ط: دار الكتب العلمية بيروت ط: الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م٠

١٠- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشى تحقيق أبى الفضل الدمياطي ط: دار الحديث القاهرة ١٤٢٧هـ٠

١١- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة د/ عبد المتعال الصعيدي ط: مكتبة الآداب القاهرة ١٤٢٠هـ١٩٩٩م٠

١٢-البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) د/ فضل حسن عباس ط: دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان ط: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م٠

١٣-التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ط:مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان ط: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م٠

١٤- التعريفات للعلامة على بن محمد بن على الجرجاني تحقيق أ/إبراهيم الإبيارى ط: دار الكتاب العربي بيروت ط:الأولى ١٤٠٥هـ.

١٥- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ط: دار الفكر.

١٦-التفسير الكبير للفخر الرازي ط:دار الفكر ط: الأولى ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٧- جامع البيان في تأويل القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق العلامة أحمد شاكر ط: مؤسسة الرسالة ط: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

١٨- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى.

١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للآلوسى ط: دار إحياء التراث العربى بيروت.

٢٠- زاد المسير في علم التفسير للعلامة عبد الرحمن على بن محمد الجوزى ط: المكتب الإسلامي بيروت ط: الثالثة ١٤٠٤هـ.

٢١- شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل تحقيق الشيخ محى الدين عبد الحميد ط: دار التراث القاهرة الطبعة العشرون ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢٢- شرح الرضى على الكافية تحقيق د/ يوسف حسن عمر ط:منشورات جامعة قار يونس ليبيا الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

٢٣- علل وأدوية للشيخ محمد الغزالى ط:دار نهضة مصر ط: الأولى.

٢٤- غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى تحقيق الشيخ زكريا عميران ط: دار الكتب العلمية بيروت ط:الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٥- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى.

٢٦- فن البديع د/ عبد القادر حسين ط: دار غريب القاهرة ٢٠٠٩م.

٢٧- فن الجناس د/ على الجندى ط: دار الفكر العربى.

٢٨- كتاب اللامات لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى تحقيق / مازن المبارك ط: دار الفكر دمشق ط: الثانية ١٩٨٥م٠

٢٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى تحقيق عبدالرزاق المهدى ط:دار إحياء التراث العربى بيروت.

٣٠- الكليات لأبى البقاء الكفوى تحقيق عدنان درويش ط: مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨م٠

٣١- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقى تحقيق أ/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ط: دار الكتب العلمية بيروت ط: الأولى ١٤١٩هـ١٩٩٨م٠

٣٢- اللغة العربية معناها ومبناها د/تمام حسان ط:دار الثقافة الدار البيضاء ١٩٩٤م٠

٣٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبى الفتح ضياء الدين الموصلى تحقيق الشيخ محى الدين عبد الحميد ط: المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥م٠

٣٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى تحقيق أ/عبد السلام عبد الشافي محمد ط: دار الكتب العلمية لبنان ط: الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م٠

٣٥- معانى القرآن للنحاس تحقيق أ/ محمد على الصابونى ط: جامعة أم القرى مكة المكرمة ط: الأولى ١٤٠٩هـ٠

٣٦- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د/ أحمد مطلوب ط: المجمع العلمى العراقى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م٠

٣٧- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ط:دار الفكر بيروت ط:الأولى ١٩٩٦م٠

٣٨- نحو تفسير موضوعى للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالى ط: دار نهضة مصر الطبعة الأولى.

٣٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى تحقيق عبدالرزاق غالب المهدي ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ.

٤٠- النكت والعيون لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي ط: دار الكتب العلمية بيروت.